

دراسات اقتصادية

- الدول النامية والتغيرات العالمية
- الرأسمالية وأزمة ٧٤-١٩٧٥
- التعاون الدولي في مجال التنمية
- جزء خاص عن:

جنوب أفريقيا

أبريل ١٩٧٨

السنة السابعة

٤



الهند يتطلعون الى حياة جديدة



دراسات اشرالية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة السابعة ٢٠٠٤ • أبريل ١٩٧٨

● الدراسة الأولى :

الدول النامية والتغيرات العالمية ٢

● الدراسة الثانية :

الاتجاهات الجديدة في معاداة الشيوعية ١١

● الدراسة الثالثة :

المغزى الدولي للدستور السوفييتي الجديد ٢٢

● اقتصاد :

الراسمالية بعد أزمة ٧٤ - ١٩٧٥ ٣٦

● افريقيا :

المرحلة الحاسمة للاندماج في جنوب افريقيا ٤٨

كتاب الشهر : ٧٤

● أحداث الشهر :

زكريا الحجاوي ٨٢

شريط الانبياء ٨٦

الدول النامية والتغيرات الدولية

بقام: بيتر كينمان

هناك أحداث ومنعطفات في تاريخ العالم تتحول الى معالم بالنسبة لمصير البشرية . وكان الحدث الرئيسى من هذا النوع فى القرن العشرين هو ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، التى استهلكت مرحلة لتحرر الانسان القومى والاجتماعى وبدأت انتقالاتا من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم . وكان تشكيل النظام الاشتراكى العالمى ، فى اعقاب الانتصار على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ، اعظم مكسب تالى للبشرية بعد ثورة أكتوبر وقيام أول دولة اشتراكية فى العالم . وكانت نهضة حركة التحرر الوطنى وتقدمها المشرء مما أدى الى انهيار النظام الاستعمارى للامبريالية ، منعطف آخر فى التطورات العالمية كان صداه ودوره ومكانه فى التاريخ الحديث ذا مغزى عالمى .

وكل هذه التطورات التي حدثت في عصرنا تؤكد مدى دقة وصواب التنبؤ العلمي لهذه العبقريّة العظيمة للثورة ، لينين ، الذي قال منذ عام ١٩١٩ : « . . . ان الثورة الاشتراكية لن تكون فحسب ، أو في الأساس ، نضال البروليتاريين الثوري في كل بلد ضد برجوازيّتهم - كلا ، فسوف تكون نضال كافة المستعمرات والبلدان التي تضطهدها الامبريالية والتابعة ، ضد الامبريالية الدولية » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٥٩) . وفي ذلك الوقت كان ٧٢٪ من سكان العالم ، وحوالي ٦٩٪ من أراضيها يدخل في منطقة المستعمرات وأشباه المستعمرات . بيد أن لينين كانت لديه ثقة لا تحد في القدرات الخلاقة والامكانيات الثورية للجماهير العاملة في البلدان المستعمرة ، في «دورها الثوري الكبير في الاطوار التالية للثورة العالمية » (المجلد ٣٢ ، ص ٤٨٢) . وقد أكد أنه في الحقبة الامبريالية ، تحولت المسألة القومية الاستعمارية الى « ظاهرة عالمية » ، وأصبحت مسألة مصير مناطق وبلدان تسكنها أعداد ضخمة من السكان ، ولذلك فان التأثير الذي يمكن أن تمارسه تلك الاعداد الضخمة من السكان على التطورات العالمية سيكون قويا للغاية . ووجه هذا التحليل العلمي ضربة قوية للمفاهيم السائدة التي كان محورها أوروبا ، والتي ركزت الاهتمام في الأساس على المشاكل القومية التي لم تحل في أوروبا .

ويرجع الفضل العظيم الى لينين كذلك في أنه تلمس الطابع الحديث تماما لحركة التحرر الوطني والدور الهام الذي قد تلعبه الطبقات والفئات الاجتماعية الجديدة في هذه الحركة ، وأعطى أهمية خاصة للنشاط الثوري للبروليتاريا الشابة وللحاجة الى تحالفها مع الفلاحين والطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى ، بما في ذلك الأقسام الوطنية من البرجوازية القومية ، في النضال من أجل هزيمة العدو المشترك - الامبريالية وأذئابها المحليين . وكشف هذا الفهم الطبقي بوضوح المحتوى المعادي للامبريالية لحركة التحرر الوطني ، وامكانية وضرورة تفاعلها مع قوى الاشتراكية ، وصلاتها العضوية بعملية الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق عالمي . كما ساعد الثوريين كذلك على فهم التناقضات التي قد تتطور بين الطبقات المختلفة المشتركة في النضال القومي ، التناقضات التي تؤدي في الوقت الحاضر الى تباين متزايد بين الاجنحة الثورية القومية والاصلاحية البرجوازية في حركة التحرر .

وقوى التحرر القومي المعاصرة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ليست مدينة للينين ولحزب البلاشفة العظيم الذي أسسها وقاده ، فقط في مجال النظرية والاستراتيجية والتكتيكات . فقد خلقت ثورة أكتوبر الطافرة وظهور وتعزيز أول دولة اشتراكية في العالم ، الظروف السياسية والمادية لنهضة عارمة في حركة التحرر الوطني ، ولتطورها الى مستويات نوعية جديدة .

ان انتصار وتعزيز الثورة الاشتراكية في روسيا أدى الى أزمة النظام الاستعماري للامبريالية . لقد وضع حدا للسيطرة المطلقة للامبريالية في العالم ، هذا العامل الذي كان حتى ذلك الوقت سببا في فشل الحركات والهبات المعادية

للامبريالية في المناطق الشاسعة في آسيا وأفريقيا . ان انهيار الامبراطورية القيصرية ، وتحرر شعوبها المضطهدة ، وتطورها الحر والمتساوي مع الشعب الروسي وبمساعده - كل هذه العوامل وغيرها صقلت التضاللات المعادية للامبريالية للشعوب المضطهدة في عديد من البلدان . وهذه الشعوب التي شلها لسنوات الاستغلال الامبريالي والركود الاجتماعي ، ازداد نشاطها في تقرير مصيرها . وتحت تأثير ثورة أكتوبر نجحت الثورة الشعبية في منغوليا ، وكسبت أفغانستان استقلالها القومي وتدعمت سيادة تركيا ، وأضعفت لدرجة كبيرة مواقع الامبريالية في الصين . وتساعد النضال التحريري القومي في الهند ومصر والعراق وسوريا والهند الصينية وكوريا وأندونيسيا وإيران . وبلدان أخرى عديدة . وفيما بين الحربين العالميتين كان الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة التي تؤيد نضال الشعوب المستعمرة من أجل الاستقلال القومي . وكان هذا الدعم السياسي والمعنوي مصدر قوة كبيرة لنمو حركات التحرر القومي .

ودفع الانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية ، الذي ساهم فيه الاتحاد السوفيتي بأكبر نصيب حاسم ، بهذه العملية نحو الامام . فقد تحررت شعوب البلدان التي احتلتها ألمانيا واليابان وإيطاليا ، وأضعفت الامبريالية العالمية بشكل عام . وساعد عجز الدول الاستعمارية في بريطانيا وفرنسا وهولندا وغيرها عن حماية الشعوب التي تحكمها في آسيا ضد هجمات العسكرية اليابانية كذلك في تعميق ونشر الوعي المعادي للامبريالية في هذه القارة ، وعزز القوى الوطنية التي نظمت حركة مقاومة قوية للامبريالية اليابانية . وخلال هذه الفترة نمت هيبة ونفوذ الأحزاب الشيوعية بسرعة في آسيا .

وكشفت الحركات الثورية التي يقودها الشيوعيون في الصين وفيتنام وكوريا عن قدرتها على وضع حد للظروف الاستعمارية وشبه الاستعمارية في بلدانها ، والسير في طريق التقدم الاجتماعي . وفي بلدان أخرى مثل الهند وأندونيسيا وبورما ولانكا ، كانت حركة النضال من أجل الاستقلال القومي تتصاعد ، رغم أن قيادة القوى الوطنية ، كانت في الأساس ، في أيدي البرجوازية القومية .

وخلال العقد الاول بعد الحرب العالمية الثانية ، تمكنت عديد من البلدان في آسيا ، بشكل أو آخر ، من الفوز باستقلالها السياسي . ومكنها ذلك من النضال من أجل الديمقراطية ، والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي . وشهد العقدان الثاني والثالث فيما بعد الحرب امتداد حركة التحرر الوطني للقارة الافريقية الواسعة . وتلقت الحركة في أمريكا اللاتينية والكاريبى دفعة قوية بانتصار الثورة الكوبية . وكل ذلك عزز بقوة الجبهة العالمية المعادية للامبريالية والاستعمار .

ووضعت انتصارات شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أساسا لتطورات

جديدة في العالم . ان التجربة المريعة للسيطرة الاستعمارية التي عانت منها شعوب الدول الجديدة أثرت بشكل عميق على مسار سياستها الخارجية وأعطتها طابعا معاديا للامبريالية ملحوظا .

وحتى في الفترة الاولى حينما كانت كل القارة الافريقية تقريبا تحت الحكم الاجنبي ، وكانت المناطق المستعمرة ماتزال موجودة في آسيا ، ولذلك أعطيت الاولوية للاهداف المعادية للاستعمار في حركة التحرر الوطني العالمية ، كانت الخبرة المحدودة التي اكتسبتها الدول الفنية من التطور المستقل تؤدي بها الى استنتاجات ذات أهمية جوهرية في النضال من أجل إعادة تشكيل العلاقات الدولية فيما بعد . وفي مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ أعلن قادة هذه البلدان الحاجة الماسة ، أولا ، للانخراط في النضال من أجل المحافظة على السلام وتنظيم العلاقات الدولية على أساس مبادئ التعايش السلمي ، وثانيا ، تنظيم التعاون الاقتصادي بين البلدان الافروآسيوية واتخاذ تدابير جماعية لاشاعة استقرار الاسعار العالمية للمواد الخام والمسائل الماثلة .

ويمكن القول بأن مؤتمر باندونج قد عجل النضال المتسع للبلدان النامية على الجبهة الاقتصادية الدولية ، ذلك النضال الذي امتد على وجه الخصوص في السبعينات . وكان ادراك الحاجة الى العمل المشترك في المجال الدولي ، بما في ذلك المجال الاقتصادي ، وهو ما تطور في العقد الاول لما بعد الحرب ونما مع قيام حركة عدم الانحياز ، كان عاملا هاما للغاية للتوسع السريع اللاحق لجبهة البلدان النامية المعارضة للسياسات الامبريالية وللتمييز ضد الدول الجديدة في التجارة الدولية والسياسة النقدية ، وللأساليب الاستعمارية الجديدة . ومع النهاية الفعلية للاستعمار في افريقيا ، تمشط الآن على هذه الجبهة عشرات الدول الافريقية الجديدة . ويمكن رؤية تأثير أفكار التحرر والمساواة الاقتصادية ، والدليل على الجاذبية التي تتمتع بها لدى شعوب البلدان النامية ، في حقيقة أن الانظمة المعتدلة نسبيا ، بل وحتى المتخلفة اجتماعيا في العالم الثالث تربط نفسها بكثير من أوجه النشاط على هذه الجبهة .

وخلال العقود الماضية اكتسبت هذه الاقطار محتوى اجتماعيا جديدا . وفي الخمسينات ، كانت في الاساس جزءا من البرجوازية القومية التي ادعت احتكار تفسير هذه الافكار في ظروف آسيا ، ورأت في الاستقلال الاقتصادي تطورا رأسماليا مستقلا ، أقامته كالبديل المناسب للاستعمار والتبعية . وأخفته أحيانا تحت شعارات اشتراكية . ومع ذلك فلم تسترح الامبريالية حتى لذلك . وقد أبنت ، وخاصة في العقد الاول لما بعد الحرب ، رفضا عنيدا لمساعدة أي تنمية صناعية داخل اطار القطاع العام ، مثلا ، ودخلت في تحالفات مع أكثر القوى الاجتماعية محافظة والكومبرادور .

وبدأ الوضع يتغير في الاساس حينما بدأ الامبرياليون يتخذون تدابير

اقتصادية وسياسية وايدولوجية محددة تهدف الى مواصلة استقلال مستعمرانهم السابقة بوسائل جديدة . لقد برهن الزعماء البورجوازيون لحركة التحرر القومي ، كما برهنت سياستهم القاتمة على التطور الرأسمالي ، أنهم ليسوا في مستوى مهام مقاومة الهجوم المضاد للاستعمار الجديد . وفي نفس الوقت ، كانت الاتجاهات المعادية للرأسمالية تنمو بين الجماهير الشعبية العريضة في البلدان الاسيوية الافريقية ، التي كانت تسعى الى طريق بديل للتطور . ومما له أهمية كبيرة في هذا الخصوص تجربة الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، حيث يوجد تطور لا يعرف الازمات ، وحيث فُضي نهائيا منذ فترة طويلة على المساوىء الاجتماعية مثل الامية وانبطالة ، وحيث يرتفع عاما بعد عام المستوى المعيشي والثقافي للشعب .

وكل ذلك أدى ، على وجه الخصوص في العقد والنصف الماضي ، الى نشأة تيارات جديدة راديكالية في حركة التحرر الوطني ، تعبر عن نفسها بطرق عديدة . وكانت احدى اهم التطورات هي المطالبة بأن تكون للبلدان النامية سيطرة كاملة على مواردها الطبيعية ، وأن يعاد بناء العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدان النامية والبلدان الرأسمالية المتطورة بشكل جذري بشكل يضع حدا لكافة أشكال التمييز وانعدام المساواة . كما وجعلت تعبيراً عنها كذلك في طرق معينة لاحداث تغييرات جذرية في حركة التحرر القومي ، وامتدت أحيانا حتى لانظمة بعيدة عن أن تكون أنظمة تقدمية . وهكذا استخدمت البلدان العربية المنتجة للنفط ، والتي لها تأثير حاسم داخل أوبك ، نفطها في مرحلة معينة كسلاح سياسي لمعارضة الدول الامبريالية .

ولدرجة بعيدة كان أوضح دليل على الاتجاه نحو اشاعة الراديكالية في عملية التحرر في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية هو تزايد عدد البلدان التي ترفض الطريق الرأسمالي للتطور والتي تقبل طريقا ذا منحى اشتراكي بدلا منه . وهذا التطور لوحظ على وجه الخصوص في أفريقيا حيث قبلت مجموعة كبيرة من البلدان المسار الاشتراكي . وتلعب هذه المجموعة من البلدان الآن دورا طليعيا في حركة التحرر القومي . وهي تناضل بشأت من أجل تدعيم الاستقلال السياسي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي ، وضد كافة الضغوط والمؤامرات الامبريالية . وعلى أساس تحالف كافة القوى الشعبية ، وبخاصة العمال والفلاحين ، تسعى الى تحديث اقتصادياتها والحد من الاشكال المختلفة لعلاقات الاستغلال . وهي تتمسك في سياستها الخارجية بمواقف حاسمة معادية للامبريالية ، مؤثرة بذلك على وجه الخصوص على حركة عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، الخ . كما تسعى الى تعزيز علاقاتها ، على كافة المستويات ، مع الاسرة الاشتراكية .

وتعكس هذه التطورات التغييرات الهامة التي تحدث في قيادة حركة التحرر القومي في الوقت الراهن . فكلما اكتسبت حركة التغيير الاجتماعي الجذري عزما أكبر من البلدان النامية ، كلما أصبح دور البورجوازية القومية في النضال المعادي للامبريالية أقل ثباتا عن ذي قبل ، وأكثر ميلا الى المساومة . وفي بعض

البلدان ، مثل سرى لانكا ، يؤدي صسفر السوق الداخلي ، والضعف المالى ، والتخلف التكنولوجى ، وقلة الخبرة ، بالبورجوازية الوطنية النامية ، التى لعبت دورا ايجابيا فى الحركة المعادية للامبريالية منذ وقت مضى ، الى البحث عن أشكال مختلفة للمساومة والتعاون مع الاحتكارات الامبريالية ، وبذلك تعمل ككابحة على استمرار تطور النضال التحريرى القومى . وكنتيجة لذلك كفت البورجوازية الوطنية فى عديد من البلدان النامية اليوم عن الدفاع عن المثل العليا للوطنية ، رغم أن بعض أقسامها مازال تعمل من مواقع قومية وديموقراطية عامة . وبينما يكون من الخطأ القول ، بأن البورجوازية الوطنية ، بشكل عام ، فى جميع البلدان النامية قد استتفدت امكاناتها المعادية للامبريالية ، فإن قدرتها على قيادة القوى الوطنية تندهور .

وفى بعض البلدان يتزايد بشكل واضح الدور الذى تلعبه الطبقة العاملة . والاحزاب الشيوعية . والشيوعيون هم أكثر المناضلين عزما فى النضال ضد الامبريالية وأكثر المدافعين ثباتا عن المنحى الاشتراكى لبلدانهم . ولديهم خبرة كبيرة فى النضال ، كما أنهم - وهذا هو المهم - مسلحون بمعرفة علمية بالقوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى . وهم اصداق حازمون للأسرة . الاشتراكية ، التى تقدم بدورها مساندة دائمة وفعالة لحركة التحرر القومى .

ومع ذلك ، وفى عديد من البلدان النامية ، وبخاصة فى افريقيا ، مازال الطبقة العاملة صغيرة نسبيا ، وفى مرحلة تشكيلها المبكرة ، بينما الاحزاب الماركسية اللينينية اما لم تظهر بعدوما محدودة فى نشاطها السياسى وتأثيرها الايديولوجى . وفى هذه البلدان تعتمد اشاعة الراديكالية فى حركة التحرر القومى فى هذه المرحلة على وصول الزعماء والاحزاب الديمقراطية الثورية الى السلطة . ان ظهور مثل هذه القوى الاجتماعية فى مراكز القيادة هو نتيجة للدور الثورى الهام للفلاحين ولجماهير شبه البروليتارية والبورجوازية الصغيرة فى المدن ، التى غالبا مايقودها المثقفون الوطنيون ذوى العقليّة التقدمية .

ومنذ بداية هذا القرن لفت لينين الانتباه الى الطرق الهامة التى يمكن بموجبها أن تحدد المواقع التى تحتلها البرجوازية الصغيرة نتيجة العملية الثورية . وعلم الشيوعيون ، أنه بينما يظلون مخلصين للاشتراكية العلمية . وينظمون أنفسهم فى « حزب طبقى مستقل بكل ما فى الكلمة من معنى » (المجلد ١٠ ، ص ٤١١) فإن عليهم أن يميزوا بوضوح بين القادة والاحزاب الثورية وبين القادة والاحزاب البرجوازية الصغيرة الانتهازية ، ويسعون الى التأثير على الاخيرين ، والوحدة معهم فى عمل مشترك . وفى عام ١٩٠٦ أعلن لينين : « اليوم لا يوجد ماهر أهم للثورة من هذا التنظيم والتعليم والتدريب للديمقراطيين البرجوازيين الثوريين » (المجلد ١٠ ، ص ٤١٣) . ورغم أن هذه الكلمات كانت تنطبق على الظروف التى وجدت فى روسيا فى ذلك الوقت ، فانها تعتبر وثيقة الصلة لدرجة كبيرة بالديمقراطيين الثوريين البرجوازيين ، الصغار فى عدد من البلدان النامية اليوم .

ان عديدا من الاحزاب الديمقراطية الثورية وزعمائها اليوم يتبنون مطالب وبرامج تتشابه لحد كبير مع مايتوصل اليه الشيوعيون حول حركة التحرر القومي . وينطبق ذلك ، على وجه الخصوص ، على النضال من أجل الاستقلال الاقتصادي ، الذي يرى فيه الديمقراطيون الثوريون طريقا لتغييرات بعيدة المدى ، بما في ذلك تغييرات في العلاقات الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية . وفي أواخر الستينات وأوائل السبعينات دافعت الدول العربية التقدمية ذات المنحى الاشتراكي عن أمثال تلك المواقف في المجال الدولي وأعطت لها محتوى حقيقي . وخلال العقد الحالي ، انضمت اليها عديد من الدول الافريقية التقدمية . ومواقف الديمقراطيين الثوريين فيما يتعلق بالتطور الاقتصادي الاجتماعي لبلدانهم تتحدد بوضوح أكبر كما تبرز بدوجة أكبر آراؤهم الايديولوجية . وهذه العملية ليست بالطبع عملية مباشرة لها نفس الحظ من النجاح في البلدان المختلفة .

وعدد ليس بالقليل من الزعماء الديمقراطيين الثوريين البارزين في آسيا وأفريقيا ، استطاعوا ، لانهم وطنيون حقا ، أن يدركوا أهمية الاشتراكية العلمية كعامل في التحولات الاجتماعية ، وأن يختاروا حلفاء يعتمد بهم في المعترك الدولي - الطبقة العاملة الدولية ، وإبداعها ، النظام الاشتراكي العالمي . وقد قادتهم الخبرة المكتسبة على أرض معارك النضال التحريري الى استنتاج أن التقدم الاجتماعي يمكن تطويره فحسب بما يتفق والماركسية اللينينية . وتمثل انجولا وموزمبيق وإثيوبيا وجمهورية الكونغو الشعبية حالات أمام أعيننا .

وكان تحقيق الانتماء الى معسكر النضال الثوري على نطاق العالم ، الذي يقف في مقدمته النظام الاشتراكي العالمي ، معلما في تشكيل النظرة العالمية التقدمية للديمقراطية الثورية . والدول الاسيوية والافريقية الفتية ، التي اختارت شعوبها منحى اشتراكيا ، تفضل الان تحالفا استراتيجيا مع الاسرة الاشتراكية . ويشوه الدعاة البرجوازيون هذا التطور ، زاعمين بأن الديمقراطيين الثوريين وقوى التحرر الوطني عادة ، باقامتها لصلوات وثيقة مع العالم الاشتراكي ، سوف تخسر طابعها المستقل « المتميز » وتجد نفسها في « فلك موسكو والشيوعية الدولية » . وحتى الحكومات التي تقودها البرجوازية الوطنية والتي دخلت في معاهدات صداقة ومساعدة متبادلة مع الاتحاد السوفييتي لاتسلم من مثل تلك الهجمات .

ومع ذلك ، فإن تطور التعاون مع العالم الاشتراكي ، كحقيقة ، بدلا من أن يحد من سيادة البلدان النامية ، إنما هو شيء لا غنى عنه للممارسة الكاملة للحقوق التي تتضمنها السيادة - وأولها ، حق اختيار طريق التطور الاجتماعي . فلا يمكن تصور التقدم الاقتصادي والاجتماعي الشامل دون حل سلسلة كاملة من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والايديولوجية « وعلى سبيل المثال ، المشاكل المتعلقة بأجثاث البنى الاجتماعية القديمة ، وتحرير القوى المنتجة ، ومشكلة الثورة الثقافية ، وتدريب الكوادر القومية ، وتشكيل

مفاهيم وتوجهات أيديولوجية جديدة ، وإعادة بناء العلاقات الاقتصادية العالمية القائمة ، وعن طريق تسهيل امكانية مشاركة الجماهير الى الابعاد التاريخية الجديدة في حل هذه المشاكل من ناحية ، والتحالف الحازم مع الاسرة الاشتراكية ومع كل القوى التقدمية الاخرى ، من ناحية أخرى ، يمكن للدولة الجديدة أن تكون فحسب في مستوى المهام التي تواجهها .

لقد تمت البرهنة نظريا وعمليا على أن التحرر الحقيقي لبلد نامى لا يتوقف فحسب على الوحدة الثورية للقوى التقدمية القومية ، وانما يتوقف لدرجة كبيرة على قوة الصلات مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وعلى مساندة الطبقة العاملة الدولية وفصائلها المتفرعة مثل الاحزاب الشيوعية ، والعالمية . ان التعاون والتفاعل المتبادل بين البلدان الاشتراكية والنامية ذو أهمية كبيرة كذلك من وجهة نظر التطور العام للعلاقات الدولية وتعميق الانفراج .

وشعوب البلدان النامية تعرف جيدا ، أن الامبريالية رغم فقدانها لنظامها الاستعماري ورغم أزماتها العميقة ، لم تتخل عن طبيعتها العدوانية والاستغلالية . ومن الصحيح أنها بعد هزائنها المنكرة في الهند الصينية وانجولا وفي أماكن أخرى ، تبلى حرصا أكبر فيما يتعلق بشن أعمال عدوان عسكري مباشرة . بيد أنها تواصل مساندة الزمرة الفاشية في شيل والانظمة العنصرية في جنوب افريقيا ، والمحافظة على الاحلاف والقواعد العسكرية العدوانية وتوسيعها ، والعمل من أجل « اشاعة عدم الاستقرار » في الانظمة التقدمية وأشكال أخرى من التخريب السياسي ، والضغط على البلدان النامية عن طريق الاساليب الاستعمارية الجديدة المختلفة مثل التلاعب في الاسعار الدولية واسعار الصرف ، ونشاط الاحتكارات فوق القومية ، والوكالات المالية والنقدية الدولية ، وهكذا . وهي تزرع الشقاق بين الدول المتحررة حديثا وحتى تعرض على النزاعات المسلحة فيما بينها .

كل ذلك جعل البلدان النامية تتحرك بنشاط متزايد مطالبة باغلاق القواعد الامبريالية العدوانية ، وباقامة « مناطق سلام » في المناطق المختلفة من العالم ، ووضع حد للفصل العنصري وتحرير الشعوب المضطهدة في جنوب افريقيا ، وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التي احتلتها بالقوة وتسوية أزمة الشرق الاوسط بما يضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في دولته المستقلة ، وإعادة توحيد كوريا ، وغيرها من المسائل الماثلة . ان تقدم حركات غير متجانسة اجتماعية لدرجة كبيرة مثل حركة عدم الانحياز يمثل هذه المطالب في اجتماع القمة الذي عقد في كولومبو عام ١٩٧٦ له مغزى عظيم . وليس من الصعب أن نرى أن هذه المطالب تتفق تماما مع النضال من أجل الانفراج .

وبفضل الجهود الدؤوبة للاتحاد السوفيتي وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى ، حققت سياسة الانفراج في السنوات الاخيرة تحسنا سياسيا ملحوظا

في الوضع الدولي • ولهذا أهمية كبيرة بالنسبة للبلدان النامية ، التي تساند بنشاط مثل هذه التطورات • انها ترى فيها عاملا هاما يدعم الاتجاه نحو التطور المستقل ويشل مؤامرات الامبريالية ، كما ترمى الى وضع حد لسباق التسليح وتحقيق نزع السلاح انها تتفق ومصالحها المباشرة ، ويوفر ذلك ظروفا خارجية مواتية لتدعيم سيادتها الاقتصادية ، السند الرئيسي لاستقلالها الاقتصادي • وهي تعرف كذلك أن خفضا عالميا عاما للنفقات العسكرية قد يتيح فرصا جديدة للمساعدة الاقتصادية للدول الجديدة •

ولهذا السبب فان المبادرات السوفيتية مثل الاقتراح بخفض الميزانيات العسكرية للدول الاعضاء الدائمين في مجلس الامن بما يساوي ١٠٪ واستخدام جزء من الاموال التي تتوفر نتيجة لذلك لمساعدة البلدان النامية ، قد قوبل بترحيب حار • ولهذا السبب رحب اجتماع القمة لبلدان عدم الانحياز في كولومبو بوقيقة هلسنكي الختامية وأيد توسيع الانفراج الى قارات أخرى بالمثل • ولهذا السبب لقي برنامج السلام الذي أقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي وطوره المؤتمر الخامس والعشرون ، ومفترحات الرفيق بريجنيف حول الوقف الفوري لإنتاج الأسلحة النووية والوقف المؤقت للتجارب النووية للأغراض السلمية ، مثل هذا الترحيب الحار في البلدان النامية •

ان شعوب البلدان النامية تدرك جيدا العلاقة الوثيقة القائمة بين منجزاتها الرائعة في العقود الثلاث الاخيرة وعدم قيام حرب عالمية في هذه الفترة • وهي تؤيد جعل الانفراج لاربعة فيه ، وتحويله الى ظاهرة عالمية شاملة حقا ، وكفاحها الراهن من أجل وضع حد « للنظام الاقتصادي القديم » الذي أقيم في العصر الاستعماري انما تنظر اليه كتعزيز لعملية الانفراج ، لانه طالما بقيت هذه العلاقة التي انقضت زمانها ، فسيكون هناك على الدوام توترات متزايدة بين البلدان النامية والبلدان الرأسمالية المتطورة ، ومن ثم خطر دائم للمواجهات والصدامات •

وباختصار ، فقد أصبحت حركة التحرر القومي الان جبهة موحدة قوية عريضة من الدول ، تصطم بالامبريالية في الجبهات الاقتصادية وغيرها • وتحول شعوب ودول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الى عامل مستقل نامي في السياسة الدولية يمثل أحد أهم النتائج للنضال التحريري القومي • وكما تنبأ لينين ، فان ملايين الناس الذين كانوا مادة للتاريخ قد أصبحوا الان صناعات نشطين لتاريخ العالم •

الاتجاهات الجديدة في معاداة الشيوعية

بقلم: ازاكياس بابانيو

في السنوات القليلة الماضية ، طرات تغيرات هامة في استراتيجية معاداة الشيوعية . ويرجع سبب هذه التغيرات الى الفشل التام للجهاز الايديولوجي السياسي الذي كان موجهها نحو الحرب الباردة ، والى حقيقة ان الراى العام أصبح أقل تصديقا للتليفقات الفجة عن الشيوعيين . لقد تعرضت الشعارات الدعائية التى ظلت اجهزة الاعلام الجماهيرى البرجوازية تنشرها لعشرات السنين . ووضعت على الرف العديد من المبادئ والمفاهيم النظرية التى شكلت الاطار الايديولوجى للتفكير المعادى للشيوعية لجيل كامل تقريبا من « المتخصصين في الشيوعية » .

وعندما نحول «تعرت» و «وضعت على الرف» فلا نعى ان ذلك يدل على نهاية الاشكال البدائية اللفظة لمعاداة الشيوعية أو أنها تقادمت بالفعل وأصبحت في عداد الماضي . واليوم يوجد عديد من المعادين للشيوعيين المتطرفين والفاشييين المسعورين الذين يدعون الى القمع العنيف والجسلى للحركة الشيوعية والعمالية . وهذا شيء لا نسمح لانفسنا أبدا بنسيانه . لكننى أود فى هذا المقال أن أعالج بعض السمات والاتجاهات الجديدة فى بناء معاداة الشيوعية والناجمة عن جهودها كى تلائم نفسها مع حقائق الصراع الطبقي الراهنة فى المعترك الدولى وفى بلدان مفردة ، وعلى الاخص قبرص .

وحتى اليوم لا تزال دعاية معاداة الشيوعية يجرى تصعيدها ، وفى الاساس من خلال معاداة السوفييت . والعنصر الجديد هنا هو أن معاداة السوفييت تستخدم بشكل متزايد كوسيلة تهدف لا الى التأثير على موقف الاتحاد السوفييتى (رغم أن البرجوازية لم تتخل أبدا عن مثل تلك الالهام) قدر ما تهدف الى التأثير على موقف الشيوعية والمنظمات السياسية الديمقراطية الاخرى فى العالم غير الاشتراكي من موقف الاتحاد انسوفييتى . وما تزال الدعاية البرجوازية ، بالطبع ، تحاول اثاره مشاعر الاغتراب عن ، ثم مشاعر الكراهية والعداوة تجاه الاتحاد السوفييتى بين الاقسام المختلفة من السكان، لكنها لم تعد تكتفى بترويح افكار الناس غير الناضجين سياسيا ، وتحاول اختراع ترسانة خاصة من الاساليب لممارسة تأثيرها على الدوائر التقدمية كذلك . وبالإضافة الى ذلك ، تتظاهر الدعاية البرجوازية بان حملاتها المعادية للسوفييت ليست موجهة ضد الاشتراكية فى حد ذاتها ، وانما موجهة فقط ضد « تطرفاتها » و « أوجه النقص فيها » ، وهى لا تنطبق بأى حال على هؤلاء الذين يسون الى « تحسين » الاشتراكية .

ونحن مقتنعون اقتناعا عميقا بأن معاداة السوفييت تعتبر هجوما أماميا على الاهداف والمصالح العامة للحركة الشيوعية فى مجموعها . واستنتاجنا انما يركز على النقاط التالية :

أولا : هناك صلة واضحة بين محاولات تشويه سمعة الاشتراكية كنظام قائم والبحث على تعرية الحافز الرئيسى والموجه الذى يكمن خلف نشاط الشيوعيين فى أى بلد ، ألا وهو اقتناعهم العميق بأن الافكار الاشتراكية صحيحة ، وتتلخص مكيدة الدعاية البرجوازية فى محاولتها تليخ سمعة الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، وابعاد الجماهير عن الايديولوجية الاشتراكية ودفع العمليات التى تؤدى الى القضاء التام على المحتسوى الطبقي البروليتارى المعادى للرأسمالية لاهداف وسياسات الاحزاب الشيوعية .

ثانيا : تأمل الدوائر الامبريالية الرجعية ، عن طريق هجماتها ضد الاتحاد السوفييتى ، فى كبح الثغرات الايجابية فى المجال الدولى وتقويض الانفراج ، الذى يعتبر القضية المشتركة للشيوعيين ولكافة القوى الديمقراطية والسلامية

الآخري • وتحاول الدعاية البرجوازية طمس الحقيقة الماثلة في أن النضال من أجل السلام لا تتفق مع العداء للاتحاد السوفيتي ، العادي الرئيسي للسلام •

ثالثا : تستهدف معاداة السوفييت تقويض موقف الشيوعيين الاممي ، الذي ينبع من حقائق الحقبة الحديثة ومسئوليتهم عن مصائر الطبقة العاملة وشعوبهم في مجموعها • وهي تعبر عن حث على انكار مغزى المساندة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي لكافة الشعوب في نضالها المعادي للامبريالية ، وهكذا تفرى الشيوعيين بعزل أنفسهم عن القوة الجبارة للتقدم الاجتماعي •

وفي ضوء ذلك ، فاننا مقتنعون بأنه ينبغي علينا أن نشدد من جهودنا لفضح معاداة الشيوعية ، وإن نقوم بذلك ليس فقط بشكل دفاعي ، وإنما أيضا بأن نتخطاه الى هجوم أيديولوجي أكثر نشاطا • والدعاية المعادية للشيوعية تشوه الواقع عن قصد ، وتخفي وتطمس منجزات الاشتراكية • وهي تتصيد وتبالغ في المشاكل التي تحدث في مجرى بناء المجتمع الجديد ، والتي لم تخفها أبدا الأحزاب الحاكمة في البلدان الاشتراكية ، في حينها ، في جهودها المنتظمة لحلها • ولهذا السبب فإن نشر الحقيقة عن الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى هو أسلوب فعال لمقاومة الدعاية المعادية للسوفييت والمعادية للشيوعية • وهذا شيء لا يمكن بدونه فهم حقائق العالم المعاصر • ونحن نعرف من خبرتنا الخاصة أنه كلما زادت الفرصة أمام الجماهير العاملة لوضع يدها على معلومات موضوعية عن البلدان الاشتراكية ، وكلما أمكنهم المقارنة بين الاوضاع الفعلية القائمة في ظل الرأسمالية والاشتراكية بسهولة أكبر ، كلما أصبحت الأرض أكثر خصوبة لجهودنا في نشر الافكار الاشتراكية •

وإذا ما أخذنا الوضع في بلادنا على ما هو عليه ، نجد أنه من المهم للغاية فضح التلغيفات المعادية للشيوعية التي تقول أن مساندة وتضامن الاتحاد السوفيتي مع شعب قبرص ، الذي يناضل من أجل حريته هما من « اختراع أكيل » • فمن خلال الصحافة الحزبية ، والاجتماعات الجماهيرية والمناقشات نشرح موقف الاتحاد السوفيتي من المسألة القبرصية ، ونحيط الشعب علما بالحقائق لمواجهة مثل هذه الأكاذيب • ونحن متأكدون بأن النضال التحريري الدؤوب والموحد لشعب قبرص مع المساندة والتضامن المتعاطف من جانب الاتحاد السوفيتي ، الدولة الصديقة الكبرى ، ومن جانب كافة البلدان الاشتراكية الأخرى وغير المنحازة ، سينتهي بالنجاح التام •

وأحد الخطوط الهامة الأخرى للنضال ضد العداء للسوفييت يتمثل في فضح محاولاته لتشويه الوضع القائم في الحركة الشيوعية • والان وقد بين العديد من الأحزاب الشيوعية أنه قوة قومية هامة ، فإن التكنيك القديم لاضطهاد الشيوعيين وتقويض مواقفهم بوصفهم بأنهم شركاء في « مؤامرة عالمية توجهها أصابع موسكو » لم يعد ينطلي على أحد • ومع ذلك ، اتخذت

الدعاية البرجوازية سبيلا آخر في سعيها لاستقلال هذه الاسطورة بانارتها مشكلة زائفة مصطنعة تماما ، وهى « تحرير » الاحزاب من « قبضة موسكو الحديدية » ومن « الحنين الباطنى للكونترن » . وقد صنفت الصحافة البرجوازية بشكل استفزازى الاحزاب الشيوعية الى احزاب « مستقلة » و « تابعة » فى محاولة لبدور الدور الشقاق بينها . ودعت الى أن « الموقف الانتقادى » من الحزب الشيوعى السوفييتى هو معيار استقلاليتها . ويهدف ذلك الى منع الاحزاب الشيوعية من اتخاذ دور نشط فى النضال المشترك ضد الامبريالية ، ومن التقدم بأهداف مشتركة ومن بناء تضامنها المشترك .

وانه لأمر معروف تماما أنه لا يوجد فى حركتنا احزاب قائمة أو مقودة ، أى تابعة . وحتى الملقين البرجوازين عجزوا عن اكتشاف كلمة واحدة فى وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى تدعى بأى شكل من الاشكال « قيادة » الاحزاب الاخرى . وعلى العكس تؤكد وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى بوضوح وجلاء أنها ضد أية هيمنة فى الحركة الشيوعية ، وأنها مع العلاقات الاممية المتساوية حقا بين كافة الاحزاب . (انظر التقرير المقدم الى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى) .

وليس هناك أدنى اشارة الى « التبعية » فى وثائق الاحزاب الشقيقة الاخرى . ولذلك ، فانه مما لا يثير الدهشة أن تلجأ البرجوازية الى الالاعيب . والالعبة الاساسية تتمثل فى تشويه معنى الاممية البروليتارية (التى تتضمن حسب ما يزعمون « مزايا لجانب واحد » و « انكار » للديمقراطية فى العلاقات بين الاحزاب ، و « اهمال » للاستقلال ، و « قمع » للعمل الدؤوب ، و « تبعية للمركز » وهكذا) فى محاولة لغرس فكرة غير عقلانية تؤدى الى نشأة موافق عقلية واستجابات سلبية . وتتلخص الفكرة فى اثاره كراهية عاطفية للاممية البروليتارية ، ونزعة غير واعية تؤدى الى نوع من المناعة ضد حجج العقل والعلم والتجربة . وبالصدفة ، فقد استخدمت الدعاية المعادية للشيوعية أساليب مماثلة لغسيل المخ فى مسائل أخرى ، حيث كشفت كذلك عن عجزها عن اقتراح برنامج ايجابى لمواجهة الاشتراكية العلمية .

وفى الوقت الذى يتحدث فيه السياسيون والامبراليون البرجوازيون عن الاستقلال يتعاملون بالطبع عن حقيقة أن الاحزاب الشيوعية مستقلة ، ذات سيادة ، ومتساوية . وعلى عكس تأكيدات الدعاية البرجوازية ، فتلك هى القواعد المقبولة بشكل عام للعلاقات بين الاحزاب داخل الحركة الشيوعية ، والالتزام بهذه القواعد يعتبر أساسا هاما لتقدمها المستمر ، ومسألة استقلال الاحزاب ليست هدفا جديدا للمضاربة المعادية للسوفييت والمعادية للشيوعية ، والتى قلمت لها الأوهام القومية على الدوام أرضا خصبة . ومع ذلك ، فقد استغضمت فى الماضى ، وفى بلادنا على وجه الخصوص ، فى الأساس للفصل الحزب الشيوعى عن الجماهير . وادعى اعداؤنا ان الحزب الشيوعى حزب غير قومى ومعاد للقومية ، وأنه يضع المصالح « الاجنبية »

فوق المصلحة القومية . ونحن نجد الآن لهجة مختلفة الى حد ما . اذ تستخدم الاوهام القومية من جانب المعادين للشيوعية كوسيلة لعزل الاحزاب الشيوعية في المجال الدولي ، فالشيوعية كما يدعى اعداؤنا ، تصبح أكثر قومية ومعادية للأمية بصورة متزايدة .

وهكذا كان على أعداء الشيوعية أن يتبنوا تكتيكات أكثر دهاء في كفاحهم ضد الحركة الشيوعية . ولقد كانت استجابة البرجوازية الامبريالية لتزايد نفوذ الحركة الشيوعية في العالم المعاصر هي ، أولا محاولة تحطيم وتقويض الحركة الشيوعية كقوة دولية ، وثانيا ، اضعاف والقضاء على دور الاحزاب الشيوعية باعتبارها القوة الدافعة في التطور القومي . بيد أن تعرية وحدة وتضامن الشيوعيين الدولي لا يعتبر غاية في حد ذاته وانما مجرد وسيلة لتغيير الوضع الدولي غير المواتي بالنسبة للامبريالية ، وكذلك لعزل الاحزاب الشيوعية لاقتلاعها من تربتها القومية أو دفعها الى التحول .

ويحاول أعداء الشيوعية كذلك توفير اساس سياسي جغرافي لتكتيكاتهم . وهم يدعون أن أهداف الاحزاب الشيوعية « لا يمكن أن تتوافق » لأنها تنتمي الى مناطق جغرافية مختلفة . وتوضع شيوعية « الشرق » في مقابل شيوعية « الغرب » ، وشيوعية « الجنوب » مقابل شيوعية « الشمال » . وينكر أعداء الشيوعية وحدة العملية الثورية العالمية وقوانينها العامة ، التي تعدد تقدم البشرية وانتقالها الى السلام الدائم والاشتراكية . وهذه النظرية الجغرافية السياسية للحركة الشيوعية تجد تعبيرها على وجه الخصوص في « مفهوم » الشيوعية الاوربية » الذي تروجه الدعاية البرجوازية . وأحد الأسباب لاهتمامنا بشكل خاص بهذه المسألة يكمن في أن الايكونومست النرويجية قد وصفت حزبنا - في مقابل « الشيوعيين الاوربيين » و « المعادين للشيوعيين الاوربيين » بأنه حزب « غير ملتزم » و « غير مبال » .

ان الدعاية البرجوازية ، وقد اخترعت اصطلاح « الشيوعية الاوربية » ، لا تستخدمه كمجرد تعبير ملطف غير جارح ، أو ببساطة أكثر ، كاصطلاح يدل على الموقف المتعادل الذي اتخذته بعض الاحزاب في منطقتنا من بعض المشاكل . ففي الحركة الشيوعية ، كما نعرف ، توجد آراء مختلفة حول هذه المسألة وهي مطروحة للنقاش . بيد أن البرجوازية ، في سعيها الى تقسيم صفوف الشيوعية الى اجزاء عديدة على اساس المبدأ الجغرافي السياسي ، تعطي للاصلاح ميلا منحرفا معاديا للشيوعية وتستخدمه للضغط على حركتنا وكطريقة لحاربة الاحزاب الشيوعية .

فلماذا تحتاج البرجوازية لمفهوم « الشيوعية الاوربية » ؟ ما هي المكاسب التي تتوقعها من ذلك ؟ ان تعليقات الصحافة البرجوازية تدعو الى الاستنتاج بان غرض الضجة الدعاية حول هذا المفهوم هو ازالة عدم الثقة والاحساس

بالغربة بين الأحزاب الشيوعية مما ينتهى الى المواجهة وقطع العلاقات .
واليكم مثالا على ذلك .

فالفحافة البرجوازية تناقش منذ فترة « التحدى المزدوج للشيوعية الأوروبية » وقد ناقشت باستفاضة أن « الشيوعية الأوروبية » تطرح مشكلة اكبر امام « الشرق » عن « الغرب » . ويروج اعداء الشيوعية الفكرة غير المعقولة القائلة بأن الطريق الخاص للاشتراكية الذى يتخذه بلد ما يمرض القضية الشيوعية للخطر فى البلدان الاخرى . وهم يعتبرون النضال من أجل الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية كالتقيض لتطور البلدان الاشتراكية . وتصور الأحزاب الشيوعية غير الحاكمة على أنها معارضة للاشتراكية الموجودة فى « الشرق » ، بينما تصور الأحزاب الحاكمة على أنها تعارض افامة الاشتراكية فى « الغرب » . ولدى المرء انطباع بأن الترويج الذى قامت به الدوائر الامبريالية « للشيوعية الأوروبية » تدفعه مخططات استخدام هذا المفهوم كوسيلة لتقويض الاسرة الاشتراكية وأسس الحركة الشيوعية .

والشئ الملفت للنظر أن المعادين للشيوعية يعطون لمفهوم الشيوعية الأوروبية: محتوى ايديولوجيا وسياسيا لا يعكس بأى حال سمات جغرافية اقليمية . فهم يربطونها بآمال « الإصلاح الاجتماعى » للأحزاب الشيوعية ويحاولون دفعها « للتحرك بعيدا عن اللينينية نحو الديمقراطية الاجتماعية ، سواء فى المنهج أو الاهداف » . والجناح اليمى للاشتراكية الديمقراطية بدوره يضع فى اعتباره بوضوح الكسب السياسى عن طريق ترويج « الشيوعية الأوروبية » التى يفسرونها على أنها « تخلى عن الايمان » بالتطور الثورى فى غرب أوروبا و « قبول » النهج الاصلاحى . وهكذا وفقا لمعارضى الشيوعية ، فإن ادخال مقطع « الأوروبية » يحول الشيوعية الى الاصلاحية . وهذا مايشير اهتمام السياسيين والايديولوجيين الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين فى موضوع « الشيوعية الأوروبية » وذلك هو المنطلق الذى يواصلون منه هجومهم ضد الأحزاب الشيوعية .

ان الاهداف التى تنتهجها البرجوازية فى محاولاتها تشجيع الاصلاحية فى حركة الطبقة العاملة واضحة تماما . لقد كتب لينين يقول : « ان التأثير الاصلاحى بين العمال يكون اقوى كلما كانوا اضعف ، وكلما زادت تبعيتهم للبرجوازية ، وكلما كان من الاسهل على البرجوازية وقف الاصلاحات تحت مختلف الذرائع . وكلما كانت حركة الطبقة العاملة أكثر استقلالا ، كلما كانت اهدافها اعمق واعرض ، وكلما تحررت من ضيق الاقوى الاصلاحى - وكلما سهل على العمال الاحتفاظ بالتحسينات والاستفادة منها » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٩ ، ص ٢٧٢) . بيد أن الاصلاحية قد تعنى كذلك فى بعض الاحوال ، كما اشار لينين « تحطيم التنظيم الماركسى والتخلى عن المهام الديمقراطية للطبقة العاملة » . واستبدالها بسياسة عمالية لبرالية « (نفس المرجع ، ص ٢٧٥) .

وحتى مع ذلك ، فان معارضى الشيوعية يدركون ان هناك فارقا كبيرا بين تفسيرهم لمفهوم « الشيوعية الاوربية » وبين السياسة والايدولوجية الفعلية للحزب الشيوعية . ولهذا السبب كان عليهم منذ البداية ان يهاجموا الاسطورة التى خلقوها بأنفسهم . والمعادون للشيوعية بدأوا يفكرون بصورة متزايدة فيما اذا كانوا يضعفون من يقظتهم بخداع انفسهم .

• وادانة «الشيوعية الاوربية» كمهزلة وخدعة من جانب دعائها يكشف ذلك عن شيء أكثر خطورة . انها خدعة تود البرجوازية من خلالها أن تفسرى الشيوعيين لتقديم تنازلات سياسية وايدولوجية تمس مبادئهم الاساسية . ويبدو الأمر كما لو كان يطلب منهم أن يشبوا ان « الشيوعية الاوربية » ، كما يفسرها أعداء الشيوعية ، ليست مهزلة . بيد أن الشيوعيين بالتأكيد لا ينبغي عليهم ان يتخلوا عن القوانين الصحيحة عالميا للاشتراكية العلمية أو عن المصالح الاساسية للطبقة العاملة في بلدانهم أو يدخلون في معارك مع بعضهم البعض لكى يحققوا مكاسب سياسية . اننا نعتقد ان معارضينا مخطئين اذا ما اعتمدوا على ذلك .

وتميزت معاداة الشيوعية في أواخر السبعينات بالتأكيد البالغ فيه على الفردية فى استراتيجيه وتكتيكات الحركة الشيوعية النابعة من ادراك الاحزاب الشيوعية للظروف الخاصة التى تعمل فيها قوانين الصراع الطبقي في البلدان المختلفة . وكما يرى أعداء الشيوعية فان « نمو التنوع » في الحركة الشيوعية لا بد وان يؤدي الى نشأة قوى طرد مركزية تقود الى تفككها والى نشأة «شيوعية متعددة المذاهب» . ولا ينسب أعداء الشيوعية لانفسهم مجرد دور المتفرجين . انهم يتحدثون بصراحة عن الحاجة الى تشجيع العمليات التخريبية عن طريق ممارسة الضغط السياسى والثقافى على الاحزاب الشيوعية ، وبحاولون تحويل الفوارق الى خلافات فى الراى ، وهم يسعون الى المبالغة فى كل اختلاف بين أحزاب الطبقة العاملة «ويحولونه الى انقسام» كما يقول لينين (المجلد ٤ ، ص ١٧٦) .

ومن طريق اضعاف طابع مطلق على الخلافات بين الطرق المختلفة المؤدية الى الاشتراكية ، وهو الأمر الطبيعى تماما والذي يعترف به جميع الماركسيون ، تضع الصحافة البرجوازية البحث عن هذه الطرق مقابل جوهر « الماركسية التقليدية » ، أى ، الاشتراكية العلمية ، التى أسسها ماركس وانجلز ولينين . واثناء ممارسة كل حزب شيوعى لحقه فى التفكير المستقل والحر وتقرير الطريقة التى يتقدم بها بلده الى الاشتراكية تود الدعاية البرجوازية ان ترى التخل عن النظرة العلمية العالمية والمنهج العلمى لتحويل الواقع الاجتماعى . ان الحركة الشيوعية ، كما يؤكد أعداء الشيوعية ، فى طريقها لاصلاح نفسها ، ولكن استغلال الاحزاب ، الذى يفسره أعداؤنا على انه عزل النفس والتخل عن التضامن المعادى للامبريالية ، ما يزال غير كاف ،

ان ما يريدونه هو إعادة بناء أحزاب لكسر الجمود في وجدان الانسان السياسى الذى خلقه ، كما يزعمون ، تنظيم الحزب والأيديولوجية الشيوعية .
وهم يشكون من أن لوثر الجديد الذى يستطيع القيام بذلك لم يظهر بعد على المسرح .

وقد ترجم المراسل الأمريكى جيمس ا . جولدزبورو هذه « الفلسفة » الى مصطلحات أكثر براجماتية ، مصرأ على أن معارضى الاحزاب الشيوعية قد ركزوا هجماتهم « على المركزية الديموقراطية التى تجسد الافتقار الى الحرية الفردية داخل هيكل الحزب » . وفى دفاعهم عن « اصلاح الحزب » و « حرية الوجدان السياسى » داخل الأحزاب ، يأمل أعداء الشيوعية بوضوح فى توليد عمليات يمكن أن تؤدى الى تعرية الاحزاب من الداخل .

وبين تحليل الدعاية الحديثة المعادية للشيوعية أنها لا تقتصر على مهمة « تكتيك » الحركة الشيوعية . وفى الحقيقة ، فان نشاطاتها فى هذا الاتجاه هى جزء من أعمال تخريب أبعد مدى ، تتميز فى الاساس بمحاولة تحقيق تغير فى طبيعة الاحزاب الشيوعية ذاتها .

وليس هناك تجاهل لحقيقة أن جوانب فى التكتيكات الحالية للحملة ضد الاحزاب الشيوعية تردد صدى ، اذا جاز القول ، الحملات المعادية للسوفييت فى الستينات . فقد كانت سياسة « الضغط السلمى » على البلدان الاشتراكية تهدف بالتاكيد فى هذه السنوات الى اغرائها بالتحول الى « الليبرالية » أى بالتخلي عن مبادئ الماركسية اللينينية فى النظرية والتطبيق . وهذا الاسلوب يستخدم الآن ضد الاحزاب الشيوعية . فالمعادين للشيوعية يتحدثون عن « تعرية » واضفاء طابع ليبرالى « على الاحزاب الشيوعية » .

ان تماثل أساليب أعداء الشيوعية فى محاربة الاشتراكية والاحزاب الشيوعية - مع تعديلات ملائمة للنهج - ليس صدفة . فالمعادون للشيوعية يستخلصون دروسا مناسبة من الصراع الطبقي . وقد اوضحت التجربة التاريخية أنه من المستحيل اضعاف أو تغيير الاشتراكية طالما بقيت الطليعة الشيوعية للجمهور العاملة لم تتغير . ومن ناحية أخرى فان انحطاط الديمقراطية الاجتماعية منذ أكثر من ستين عاما مضت لعب دورا ملحوظا فى انقاذ الرأسمالية فى عدد من البلدان عندما كانت الموجة الثورية العالمية ترتطم بأعمدتها .

وإذا ما عمننا اتجاهات الدعاية السالفة الذكر المعادية للشيوعية ، يمكننا القول بأن ما يشغل المعادين للشيوعية أكثر من غيره هو موقف الاحزاب الشيوعية من تعاليم ماركس وانجلز ولينين . وهذا أمر مفهوم ، لان الماركسية اللينينية تعتبر أهم عامل أيديولوجى وسياسى محدد لكل حزب شيوعى حقيقى .

ومن ثم الهجمات المكثفة على الاسس الايدولوجية للحركة الشيوعية . وبالإضافة الى ذلك ، يصبح من الواضح أنها تميل الى التركيز أكثر فأكثر على الاشكال الخاصة التي ترتبط فيها أفكار ماركس وأنجلز ولينين بالطبقة العاملة والحركة المعادية للامبريالية في مختلف البلدان وبتحقيق الاحزاب للمهام الجديدة . وتحاول الدعاية المعادية للشيوعية الاستفادة من المشاكل التي لم يتم تحليلها بعد بشكل كامل . ولا يمكن أن يكون هناك ما يسمى بالفراغ الايدولوجي . وحيثما لم تتوفر الاجابات على المشاكل الجديدة ، وحيثما لم يتم صياغة نظرية علمية بدقة ، يستطيع معارضوها أن يعيشوا كالفيليات .

وأعداء الشيوعية اذ يتنبأون بفقدان الاحزاب الشيوعية لاساسها الايدولوجي العام و « بدبول » الاشتراكية العلمية ، يخترعون نوعا من « النظرية » لمساندة مثل هذه المزاعم . ويمكن رؤيتها بشكل جلي في تعارض اللينينية ، التي يزعمون أنها « ظاهرة روسية » بحتة ، مع الماركسية . وفي الوقت الذي ينكرون فيه الطابع الدولي للينينية ولتجربة الاتحاد السوفييتي خلال العقود الاولى من وجود الدولة السوفييتية ، لا يقدم أعداء الشيوعية ، مع ذلك ، أية تعميمات فكرية عريضة فيما يتعلق بالحركة الشيوعية في مجموعها ، التي قدموها كقوة « فوق قومية » . وجاءت الخطوة التالية مع المضاربة على « الشيوعية القومية » ، التي اعتبرت في الجوهر على أنها رفض الخضوع لقيادة فوق قومية . وفي نفس الوقت حاول أعداء الشيوعية « صياغة نظرية » تقول بأن تلازم الايدولوجية الشيوعية مع الظروف المحلية يمكن أن يؤدي الى تعرية أهدافها الاممية والى سيادة الاوهام القومية . وهم يكملون الآن صرح « نظريتهم » . ويقول أحد واضعي هذه النظرية ، زجنيو بريزنسنسكي ، مستشار الرئيس الامريكي ، أن تطبيق الشيوعية في ظروف خاصة متباين ومتنوع لدرجة أنها ، مثلما حدث لليبرالية القرن التاسع عشر ، تفقد معناها بإطراد كمفهوم موحد وعالمي .

وبرز زيف تلك الحجج بشكل واضح لا لبس فيه . فالشيوعية ، بمقارنتها لليبرالية القرن التاسع عشر ، ليست مجرد ايدولوجية سياسية وإنما علم . ولذلك فالرأي القائل بأن التطبيق العملي للنظرية في ظروف ملموسة — وهذا ما يفعله الشيوعيون — لا يتضمن تطويرها وإنما تشويهها لا يحتاج الى مناقشة جادة . وتلك هي النقطة الاولى . وثانيا ، فإن خطأ الحجج التي ذكرناها يكمن في أن الارتداد عن الايدولوجية الشيوعية يقدم كقاعدة بينما يجري تجاهل أية حقائق تشهد على العكس . وهذه الحقائق هي : المجتمع الاشتراكي المتطور في الاتحاد السوفييتي ، وبناء الاشتراكية المتصورة في البلدان الاشتراكية ، والنجاحات التي تحققت في الصراع الطبقي في البلدان الرأسمالية المتطورة ، ومكاسب حركة التحرر الوطني للشعوب ، وتزايد نفوذ الاحزاب الشيوعية في عديد من البلدان ، وتضامن الشيوعيين في النضال من أجل الانفراج والسلام ، وضد الامبريالية . والى ذلك يمكن أن يضاف عديد من

المنجزات الاخرى التي تعزز القوة الموحدة والجاذبة للافكار الشيوعية العلمية. لانها تؤكد صحتها . وثالثا ، فالطبقة العاملة ، كما يقول ماركس وأنجلز ، قومية ، رغم أنها ليست قومية بالمعنى البرجوازي للكلمة (المؤلفات المختارة ، المجلد الاول، ص ١٢٤) . ومعنى ما هو قومي في الحركة الشيوعية يبدو أنه فوق متناول فهم حتى المدافعين النظميين عن المطامح للشيوعية للبرجوازية . ومن ثم الغشسل التام لحججهم . وعلى عكس تنبؤاتهم ، فإن تطبيق الاشتراكية العلمية على الظروف القومية الخاصة ليس عقبة أمام تطور الوحدة الدولية لحركتنا . والامر على العكس تماما . فالنظرية الماركسية اللينينية ليس لها حيف اصدق من تجربة الاحزاب الخاصة ، من الممارسة الدولية .

وفي جهودهم من اجل مقاومة حركتنا يحاول المعادون للشيوعية الاستفادة من تماثل الظروف في عدد من البلدان ، مما أدى الى بعض البحث المثير للاهتمام في المشاكل الجديدة التي تواجهها هذه البلدان . انهم اذ يحتجون على أية بوادر للتضامن الدولي بين الشيوعيين وينكرون المغزى الدولي لتجربة الحزب ، يدافعون جميعا عن موقف « موحد » ينكر وجود فوارق في نشاط الاحزاب نابعة من السمات القومية الخاصة . وبهذه الطريقة يأمل المعادون للشيوعية في دفع الشيوعيين الى موقع العزلة عن الحركة الشيوعية الدولية .

ان خبراء مقاومة الحركة الشيوعية قد شددوا بشكل خاص في الفترة الاخيرة على « الاسلوب اللينيني في التفكير » . وهم يزعمون أنه « يقيد » الشيوعيين عندما يتعلق الامر برسم استراتيجيتهم القومية . فبأي شكل لا يرضى أعداؤنا عن هذا الاسلوب ؟ بشكل واضح لانه حتى على الطريق السلمي نحو الاشتراكية يواصل الشيوعيون مساندة أساليب العمل الثورية ، ويعطون الاولوية للسياسة ، ومسألة سلطة الدولة ، ويدافعون عن الحاجة الى المضي قدما في تطوير الحرية والديمقراطية أكثر مما مضت أو تستطيع أن تمضي الديمقراطية البرجوازية ، ويتبعون سياسة التحالفات بين الطبقة العاملة والفئات الوسطى ، ويشكلون جبهات مع الاحزاب السياسية الاخرى لكي يحلوا المشاكل القومية بروح التقدم الاجتماعي ، وهكذا . كما نرى ، يركز المعادون للشيوعية هجومهم على بعض الجوانب الرئيسية للانتقال السلمي الى الاشتراكية التي أثبتتها العلم الاجتماعي وأكدها التطبيق ، بينما يحاولون أن يفرضوا على الاحزاب الشيوعية شيئا « عالميا » يجعلهم ينفصلون عن النظرية العلمية وعن الممارسة .

ان حزبنا مخلص لافكار ماركس وأنجلز ولينين . ولهذا السبب استطاع أن يضع استراتيجية وتكتيكات أصيلة لظروف بلادنا . وأكيل يمثل أكبر القوى السياسية نفوذا في قبرص . وقد فاز في انتخابات ١٩٧٠ بأكثر من ٤٠٪ من الاصوات . وفي انتخابات سبتمبر ١٩٧٦ فازت الاحزاب الثلاثة المتعاونة - أكيل ، والجبهة الديمقراطية ، التي يقودها سبيروس كبريانو ،

والاتحاد الديمقراطي الموحد للوسط (ايديك) - بحوالى ٧٥٪ من الاصوات .
وخلال الشهور الاخيرة شكلت الانتخابات الرئاسية محور الحياة السياسية
فى الجزيرة . وخلال المعركة الانتخابية نركز على المحافظة على الوحدة الوطنية
على اوسع نطاق ممكن . ولذلك قررنا الا نتقدم بمرشح عن حزبنا على أساس
أن فوزه فى الانتخابات سيخلق وضعاً يضع البلاد على حافة الحرب الاهلية ،
وهو ما نريد أن نتجنبه . وبالإضافة الى ذلك ، فقد يستخدم الجيش التركى
هذا الانتصار كذريعة لاحتلال قسم آخر من الجزيرة . وسوف يكون هناك
خطر حقيقى للتدخل فى شئوننا الداخلية من جانب حلف الأطلسي . أننا
نعتقد أن التكتيكات التى رسمها حزبنا على أساس التحليل العلمى للوضع
الخاص فى بلادنا ووضعها الدولى هى تكتيكات فعالة ، وتقدم حلاً لمشكلة
قبرص بروح ديمقراطية وتتفق مع المصالح القريبة والبعيدة لشعبنا .

لقد عرضنا بعض اساليب معاداة الشيوعية فى اواخر السبعينات ، وهى
لا تعتبر بالطبع حصراً لكل ما فى تلك الرسالة . والعامل الذى يكمن خلف
المفاهيم التى تقدمها الدوائر الامبريالية هو الكراهية والعداوة الطبقيّة
تجاه الاحزاب الشيوعية . والدوائر الامبريالية تود أن ترى الحزبة الشيوعية
منقسمة ، والاحزاب الشيوعية ضعيفة أو لم تعد شيوعية . ولذلك يحاولون
التدخل فى شئون الاحزاب الشيوعية ويثرونها ضد بعضها البعض ، بل
ويحاضروننا حول كيف نتصرف ، وأين ومع من ينبغي أن نمضى ، ويقدمون
نواياهم كأهداف لنا ، ويدفعون بنا نحو التشتت ويشجعون الانقسام .

ان أعداء الشيوعية الامبرياليين يلحون على القضاء أو تعرية الاهداف
المشتركة للشيوعيين فى النضال المشترك ضد الامبريالية من أجل مصالح
الطبقة العاملة والسلام والتقدم الاجتماعى . وكما أكد مؤتمر الاحزاب
الشيوعية والعمالية فى أوروبا ، فإن الشيوعيين « سوف يطورون من تعاونهم
وتضامنهم الامميين ، الرفاقين ، والطوعيين على أساس الافكار العظيمة لماركس
وأنجلز ولينين ، ويتمسكون بحزم بمبادئ المساواة والسيادة المستقلة لكل
حزب ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، واحترام حرية اختيارها للطرق
المختلفة فى النضال من أجل التغير الاجتماعى ذى الطابع التقدمى ومن أجل
الاشتراكية » وعن هذا الموقع الواضح والمحدد تود الدوائر الامبريالية ،
وهى تلوح براية العداء للشيوعية ، أن تحولنا .

المغزى الدولى للدستور السوفييتى الجديد

بقام : بوريس بونا ماريوف

« فى ظل الديمقراطية لا يوجد الإنسان من أجل القانون ، وإنما يوجد القانون من أجل الإنسان ... هذا هو الإمتياز الاساسى للديموقراطية »

تعبّر كلمات كارل ماركس التى أوردناها أعلاه فى

جوهر الفكرة الاشتراكية عن الديمقراطية التى

تجسدت اليوم فى الدستور السوفييتى الجديد .

فهذا هو القانون الذى يوجد من أجل الإنسان . لقد أعطى

الدستور طابعا رسميا لانجازات المجتمع الاشتراكي

التاريخية ، واقامة أول دولة للشعب بأسره فى العالم ، دولة

هدفها الرئيسى خدمة الشعب ومصالحه ، وتعزيز مثل السلام

والحرية والاشتراكية . لقد رسم الافاق الرائعة لتقديم

المجتمع السوفييتى اللاحق على الطريق نحو الشيوعية .

لقد ناقش الشعب السوفييتي بأسره مشروع القانون الاساسى للدولة السوفييتية الذى وضعته لجنة الدستور برئاسة ليونيد بريجنيف رجل الدولة اللينينى البارز . وطيلة شهور درس ابناء الشعب السوفييتى - فى ظروف الديمقراطية السوفييتية الكاملة ، وفى جو من العمل النؤوب والحماس السياسى - كل مادة فى المشروع بطريقة جادة وبالفئة الاهتمام ، وعبروا عن ارائهم ، وقدموا اقتراحاتهم ، وأدلووا بتعليقاتهم الانتقادية ، ونستطيع ان نقول دون مبالغه ان الشعب السوفييتى بأسره قد اشترك بصورة خلاقة فى وضع الدستور .

ويختلف الدستور السوفييتى اختلافا جذريا عن دساتير كل الدول الرأسمالية . وعلى حد قول لينين « يوفر النظام السوفييتى أقصى ديمقراطية للعمال والفلاحين ، ويمثل - فى الوقت نفسه - انفصالا عن الديمقراطية النرجوازية ، وظهور طراز جديد يفتح عصرا جديدا من الديمقراطية » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٥٤) وينسجم هذا الدستور ذو الطراز الجديد مع الدولة الاشتراكية ذات الطراز الجديد وتتألف السمات الاساسية التى تحدد المغزى الدولى لهذه الوثيقة التاريخية من :

— انه دستور للسلام والصداقة بين الشعوب .

— انه دستور اول دولة للاشتراكية المتطورة ، دستور مجتمع عليه ان يعالج مهامها خلاقة شاملة ، تتضمن السياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد والمجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية والقومية ، والعام والثقافة ، وغرس معايير أخلاقية رفيعة .

— انه دستور أول دولة للشعب بأسره يعرفها التاريخ ، دستور للشعب ، لحماية مصالحه ، ولضمان مشاركة الجماهير العاملة الدائمة المباشرة المتزايدة فى الحكم .

— انه دستور يكفل اوسع الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والمدنية وأكثرها عملية للانسان العامل ، وانه ضمان حقيقى لهذه الحقوق .

— انه دستور من أجل المزيد من تطور الديمقراطية الاشتراكية يفتح المجال أمام اكمالها ونموها لتغلو ادارة اجتماعية ذاتية مع التقدم نحو المجتمع الشيوعى اللاطبقى .

لقد وصف اصدقاؤنا ممثلو الاوساط التقدمية الديمقراطية فى العالم كله الدستور السوفييتى الجديد - عن حق - بأنه « بيان الديمقراطية الاشتراكية » و « قانون الاشتراكية المتطورة » و « ميثاق السلام والامية » .

يُبين القانون الاساسى للاتحاد السوفيتى بجلاء أن الدولة السوفيتية
دولة سلام وصداقة بين الشعوب .



فهو يعتبر تشجيع السلام وتطوير التعاون الدولى مهمة من المهام الاساسية
لدولة الشعب بأسره الاشتراكية ، ويؤكد ان « اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفيتية يتبع بثبات سياسة لينينية ويؤيد تعزيز أمن الشعوب
والتعاون الدولى الواسع » .

فعدم انفصال الاشتراكية عن السلام هو السمة الرئيسية للدولة
الاشتراكية ذاتها ، وتقليد راسخ من تقاليد المجتمع الجديد . ويعرف
الجميع أن أول مرسوم اصدرته الدولة السوفيتية كان مرسوم السلام
الذى اعقبه انسحاب روسيا الثورية من الحرب العالمية الاولى . وقد سجل
التاريخ حدثا هاما مرتبطا بمناسبة دستور عام ١٩١٨ لجمهورية روسيا
الاتحادية الاشتراكية . فقد كان أول تعميم لشعار الدولة يحوى سيفا .
فتساءل لينين حين رأى التعميم « لماذا السيف ؟ اننا لسنا بحاجة
الى الفتوحات ، وسياسة الفتوحات غريبة علينا تماما ، اننا لا نهاجم وانما
ندافع عن أنفسنا ضد الاعداء الداخلىين والخارجين . وحربنا حرب دفاعية
وليس السيف شعارا لنا »

ويقدم الدستور السوفيتى الجديد تعريفا موسعا لاهداف الدولة
السوفيتية فى المجال الدولى . « تستهدف سياسة اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفيتية الخارجية توفير ظروف دولية مواتية لبناء
الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، وصيانة مصالح دولة الاتحاد
السوفيتى وتعزيز مواقع الاشتراكية العالمية ، ومساندة نضال الشعوب
من أجل التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى ، ومنع حروب العدوان ،
وتحقيق نزع السلاح الكامل الشامل ، والتنفيذ الثابت لهذا التعايش
السلمى بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة » . وليست بنا حاجة
الى برهان خاص على أن هذه التعريفات الدقيقة ليست مجرد اعلان .
فهى الواقع الذى تؤكدته ممارسة الدولة السوفيتية طيلة ستين عاما .

وأيا كان المدى الذى يصل اليه رجال الدعاية البرجوازيون فى
حذرنهم عن « الخط السوفيتى » فانهم لا يستطيعون ان يدحضوا
الوقائع التاريخية التى لا جدال فيها . وتشهد الوقائع بأن الامبريالية هى
التي أطلقت أكثر الحروب دموية فى تاريخ البشرية بأسره ، ونعنى
الحرب العالمية الثانية . ومن الناحية الأخرى كانت الاشتراكية ، الاتحاد
السوفيتى ، هى التى قدمت الاسهام الحاسم فى هزيمة الفاشية ،
وكالة السلام الذى كان يمكن لكل شعوب العالم أن تتمتع بنعمة لأكثر

من ثلاثين عاما لو لم تنتهكه ثانية مفاوضات الامبريالية مثل تدخلها
العدواني في فيتنام والشرق الاوسط وأفريقيا .

وكان لسياسة الاتحاد السوفييتي والاسرة الاشتراكية السلمية الاممية
تأثير هائل على كل شبكة العلاقات الدولية وعلى القانون الدولي . فكثير
من أهم أفكار ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والوثيقة الختامية لمؤتمر
هلسنكي قد صيغت تحت تأثير الاتحاد السوفييتي وكانت مبادرة الاتحاد
السوفييتي ومساندته النشطة هي المسؤولة عن صدور بيانات الأمم
المتحدة عن منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ، وخطر استخدام
الأسلحة النووية والنووية الحرارية ، وعدم السماح بالتدخل في الشؤون
الداخلية للدول وحماية استقلالها وسيادتها ، وتعزيز الأمن الدولي . وكثير
من البيانات الأخرى .

ويعكس الدستور السوفييتي الجديد بدوره أهم مطالب القانون الدولي .
وليس من قبل المبالغة ، أن نقول أنه بفضل ذلك بكمال لا يعادله فيه
دستور أي دولة برجوازية ، فهو ينص مثلا على أن « علاقات اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بالدول الأخرى تقوم على مراعاة
المبادئ التالية : المساواة في السيادة ، النية المتبادل لاستخدام القوة
أو التهديد بها ، عدم انتهاك الحدود ، سلامة أراضي الدول ، التسوية
السلمية للمنازعات ، عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، احترام حقوق
الإنسان والحريات الأساسية ، المساواة في الحقوق بين الشعوب وحقوقها
في تقرير مصيرها ، التعاون بين الدول ، والتنفيذ الأمين للالتزامات
الناجمة عن مبادئ القانون الدولي وقواعده المعترف بها ، وعن المعاهدات
الدولية التي وقع عليها الاتحاد السوفييتي . وهكذا يعطى الدستور
طابعاً رسمياً قانونياً للجوهر الحقيقي لسياسة الاتحاد السوفييتي
الخارجية . وكثيراً ما يقال في الغرب أن هذا ليس سوى دعاية . لكن
فلنضمن الدول البرجوازية دساتيرها كل هذه المبادئ ونحاول تطبيقها
في الممارسة . غير أنه من سوء الحظ أن ممارسة الامبريالية السياسية ،
بعيدة عن ذلك كل البعد . فهي تصر على سياسة سباق التسلح ،
وتطور المزيد والمزيد من الأسلحة المميتة . وهكذا تجبر بلادنا والاسرة
الاشتراكية بأسرها على اتخاذ الاجراءات الضرورية لتعزيز أمنها ،
ولضمان ظروف الحياة السلمية لكل الأمم . وهذا بدوره وأرد بوضوح
في الدستور السوفييتي الجديد .

وبصوغ القانون الاساسي للدولة السوفييتية مبادئ العلاقات
الدولية التي تتشكل في الجزء الاشتراكي من العالم . وتقوم هذه
المبادئ على المثل العليا للاممية البروليتارية التي تجد صيغتها - في

تطبيقها على العلاقات بين الدول - في مبادئ الأمم المتحدة الاشتراكية ،
ومحاولة تصوير الأمور وكان مبدأ الأمم المتحدة الاشتراكية يتناقض مع
القواعد العامة للعلاقات الدولية محاولة غفيلة تماما . فعلى العكس انه
يمثل مزيدا من تعميق العلاقات يقوم على الصداقة الاخوية ، وعلى
التكامل الاقتصادي ذى النفع المتبادل ، والتعاون الايدولوجي والسياسي ،
أى يقوم على شيء لا يمكن أن يوجد فى العلاقات بين البلدان الرأسمالية
والبلدان الاشتراكية .

وقد لاحظ الراى العام العالمى أن الدستور يحدد واجبا من أهم واجبات
المواطنين السوفييت على أساس مبادئ الأمم المتحدة : « ومن واجب مواطني
الاتحاد السوفييتي الاممى أن يطوروا الصداقة والتعاون مع شعوب البلدان
الآخري ، وأن يساعدوا على صيانة السلام العالمى وتعزيزه » .

لاحظ ممثلو الاحزاب الشيوعية والعمالية والقوى الديمقراطية
الواسعة بشكل خاص الطابع الشعبى حقا للدستور السوفييتي .
الجديد ، ولنظامنا السياسى بأسره . والواقع أن الدستور يقرر أن
« اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية دولة اشتراكية للشعب بأسره ،
تعبر عن ارادة ومصالح العمال والفلاحين والفئة المثقفة والجمهير العاملة لكل
أمة البلاد وقومياتها » . ويستطرد الدستور قائلا : « وكل السلطة فى اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بين الشعب . ويمارس الشعب سلطة
الدولة عن طريق سوفييتات مندوبى الشعب ، التى تشكل الأساس السياسى
لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، وكل أجهزة الدولة الأخرى .
خاضعة لرقابة سوفييتات مندوبى الشعب ، وتقدم الحساب لها » .

غير أن دولة الشعب بأسره التى تعبر عن الوحدة السياسية الاجتماعية
والايدولوجية للمجتمع السوفييتي لا ترضى دعاة « التعدد » البرجوازي .
فهم يرفضون مجرد امكانية هذه الوحدة ، وامتزاج مصالح المجتمع كله وكل
فرد من أفرادها فى نشاط الدولة الاشتراكية وسياستها .

فماذا نستطيع أن نقول عن ذلك ؟

نعرف جميعا أن الدعاية البرجوازية قد أثارت ضجة صاخبة حين فرض
الدستوران السوفييتان الاولان - فى عام ١٩١٨ و عام ١٩٢٤ - بعض القيود
فى مجال الحقوق الانتخابية على ممثلي الطبقات المستغلة من أجل تعزيز دولة
دكتاتورية البروليتاريا . وكانت عبارات « الدكتاتورين » و « الطغاة » من
أهون النعوت التى وجهتها الصحافة البرجوازية فى ذلك الوقت للنظام
السياسى لوطن السوفييتات .

لكن الزمن يمر . ومع منتصف الثلاثينات كانت أسس الاشتراكية قد

أقيمت في بلادنا • وألغى دستور عام ١٩٣٦ القيود على حق الانتخاب المنبئية على الوضع الطبقي والسياسى • ومنح حق الانتخاب لكل مواطن يبلغ الثامنة عشر من عمره • وحل الاقتراع السرى المباشر محل التصويت برفع الايدى • ولم تعد استمارات مستغلة طلب العمل تحوى أسئلة عن الوضع الاجتماعى وسما اذا كان مقدم الطلب ينتمى الى طبقات سابقة. فماذا كانت النتيجة؟ تعرض دستور عام ١٩٣٦ الى هجوم قاس بالدرجة ذاتها التى تعرض لها الدساتوران الأولان •

ومرت أربعون سنة أخرى • وحقت بلادنا تقدما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لا مثيل له • وتطورت الاسس الديمقراطية لدولتنا وكل نظامنا السياسى تطورا هائلا • وتمزج تحالف الطبقة العاملة والمزارعين الجماعين والفئة المثقفة الشعبية والصداقة بين الامم والقوميات فى الاتحاد السوفيتى • وصمدت الدولة السوفيتية والديمقراطية الاشتراكية لحن الغزو النازى الرهيبة • وبعد أن أدت الدولة السوفيتية مهام دكتاتورية البروليتاريا أصبحت دولة الشعب بأسره •

ويعكس دستور عام ١٩٧٧ مرحلة جديدة أرقى من مراحل تطور نظامنا السياسى • فما هى النتيجة ؟ سبل جديد من الافتراءات يوجه للديمقراطية السوفيتية • ان هؤلاء الذين نصبوا من أنفسهم مدافعين عن الديمقراطية لا يهتمون على الاطلاق التقدم الحقيقى الذى حققه مجتمعنا ، انهم يرفضون أن يلاحظوا التطور العميق الشامل للديمقراطية الاشتراكية ، وتوسيع حقوق المواطنين وحررياتهم الحقيقية وتعزيزها • انهم لا يرون أبعد من نموذج الدولة البرجوازية ونظامها السياسى ، رغم أن كل يوم يجلب معه برهانا جديدا على انتكاس الديمقراطية البرجوازية وتدهورها ، وشاهدا جديدا على انتهائك مصالح الجماهير العاملة الحيوية وحقوقهم وحررياتهم فى العالم الرأسمالى •

لقد كان ظهور الديمقراطية البرجوازية منذ ٢٠٠ أو ٢٥٠ عاما مضت فى مجموعة صغيرة نسبيا من بلدان أوروبا وأمريكا الشمالية خطوة كبيرة الى الامام فى تطور المدنية السياسى • ولكن هذه الديمقراطية هى اليوم ماضى البشرية المنتفضى ، وهى تكشف بوضوح متزايد عجزها عن تحقيق مصالح المجتمع •

فاتجاهات القرن العشرين السياسية الرئيسية يحددها ظهور الدول الاشتراكية وتطورها • وكل مستوى جديد بلغته الدولة الاشتراكية فى وطن السوفيتيات هو بدوره لطفة جديدة للمدافعين عن الرأسمالية والدولة الرأسمالية المحكوم عليها بالهلاك •

ونحن ندرك تماما أنه طالما ظل العالم الامبريالى قائما فسيظل جهاز دعايته الضخم يتدع كل أنواع الاختلاقات عن الاتحاد السوفيتى وبلدان الاشتراكية القائمة • لكن على الرأى العام التقدمى فى العالم أجمع أن يرى أن الامبريالية

هي المصدر الرئيسي للهجمات على الديمقراطية الاشتراكية ، لانها تدافع عن نظام سيطرتها بكل الوسائل التي في يدها ، وتفرض فكرتها عن الديمقراطية التي تنتهكها الامبريالية ذاتها في كل مكان .

يتبنى الجوهر الديمقراطي العميق لدولتنا بصورة حية في عبارات الدستور الجديد عن حقوق الشعب السوفييتي وحياته .



ويعكس الدستور معالجة الاشتراكية الجديدة لقضية حقوق الانسان . فما هو جوهر هذه المعالجة الجديدة ؟ ما هو اسهام الاشتراكية القائمة في الخبرة التي اكتسبت خلال نضال البشرية التقدمية كلها من أجل تغيير جذري في وضع الفرد في العالم الحديث ؟ هذا الجوهر هو :

— أولا ان الاشتراكية كانت أول من جدد حقوق الجماهير العاملة في الممارسة بدلا من الاعلان الشكل للمساواة بين المواطنين الذي تتسم به الديمقراطية البرجوازية .

وانها اقامت مساواة حقيقية بين الطبقات والفئات والمجموعات والامم والفوميات .

— ثانيا ان الاشتراكية قد كفلت للمرة الأولى دائرة واسعة من حقوق الانسان الاقتصادية — الاجتماعية الحقيقية بتوسيع الديمقراطية لتشمل مجال الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والثقافية .

— ثالثا أن النظام الجديد قد ربط حقوق الانسان السياسية والمدنية ربطا وثيقا بالنضال من أجل الاشتراكية والشيوعية ، وبالتالي من أجل التقدم الثابت ، ومن أجل بناء مجتمع يحقق تماما كل احتياجات البشر المادية والروحية .

وقد وسع الدستور الى حد كبير حقوق المواطنين السوفييت وحياتهم وعزز ضماناتها . وهي تشمل دائرة واسعة من حقوق الفرد وحياته أوسع من تلك التي تنص عليها وثيقة مؤتمر هلسنكي الختامية .

ان انجازات الاتحاد السوفييتي الاقتصادية والثقافية الضخمة لم تجعل من الممكن فحسب تأكيد حقوق العمل والتمتع بالراحة ووقت الفراغ والتعليم المجاني ورعاية الشيخوخة دستوريا بل جعلت من الممكن كذلك اضافة حقوق جديدة لم تكن واردة في دستور ١٩٣٦ . فهناك الحق في الرعاية الصحية ، والحق في السكن ، والحق في التمتع بالمنافع الثقافية ، وحرية العمل التكنيكي والفني .

فلنأخذ الحق في العمل . لم توجد بطالة في الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٣٠ ، ولفترة ما يقرب من نصف قرن لم يعرف المواطنون السوفييت ماذا يعني أن يكون الانسان بلا عمل ، اذ يتوفر عمل مضمون لكل السكان القادرين على العمل .

أو فلنأخذ الحق في السكن ، فيما بين عام ١٩٥١ وعام ١٩٧٧ بنت الدولة ٥٥٧٦٠٥٥ شقة وقدمتها مجانا للمواطنين السوفييت .

أو فلنأخذ حق التعليم . ان كل شخص يدرس مجانا . فمن المدرسة الابتدائية حتى المؤسسة التعليمية العليا ، وفي معاهد التعليم العالي والمدارس التقنية وعدد من المؤسسات التعليمية الاخرى يتلقى الطلاب منحاً من الدولة . وفي عام ١٩٥٠ بلغت نفقات التعليم ٤٩٠٠ مليون روبل ، ووصلت في عام ١٩٧٧ الى ٢٦٥٠٠ مليون روبل .

ولندرس مسألة المراتب التقاعدية والرعاية الطبية . يحصل ستة وأربعون مليوناً من المواطنين السوفييت على مرتبات تقاعدية من الدولة تتيح لهم التقاعد الى الراحة عند بلوغ سن المعاش . وكل ألوان المساعدات الطبية - في المنزل أو في العمل ، في العيادات الخارجية أو المستشفيات ، للبالغين أو الاطفال - تقدم مجاناً .

ولنأخذ الحق في الراحة ووقت الفراغ . في عام ١٩٧٦ قضى ثمانية وأربعون مليوناً من المواطنين السوفييت عطلاتهم في المراكز الصحية ومراكز العطلات وفي عام ١٩٥٠ كان هناك ٣٧٠٧ مركزاً صحياً ومركز عطلات ، زاد عددها في ١٩٧٦ الى ١٢١٩٢ مركزاً .

ويمكن للمرء أن يورد كثيراً من الحقائق الاخرى التي تشهد بفعالية حقوق المواطنين السوفييت .

ان الدستور الجديد - كما ذكر الرفيق بريجنيف - « قد أكد من جديد على أن كل التحولات ، كل التغيرات التي تجري في بلادنا ، تستهدف في المقام الاول توفير ظروف حياة انسانية حقاً لكل فرد . لقد أوضح من جديد بجلاء أن مفهومات الحرية وحقوق الانسان والديمقراطية والعدالة الاجتماعية لا تكتسب جوهرها حقيقياً الا في ظروف الاشتراكية » .

وللمعالجة الاشتراكية الجديدة لمسألة ضمان حقوق الانسان أهمية عالمية كبيرة لانها احدى قضايا العصر الحديث الاساسية . ولا يرجع ذلك بالطبع الى أن الدعاية البرجوازية قد شنت أخيراً حملة صاحبة حول « الدفاع عن حقوق الانسان » لا تستهدف الا المضاربة ، ويراد بها افساد العلاقات الدولية ، وابطاء الانفراج .

فقضية حقوق الانسان قضية موجودة في الواقع بغض النظر عن مناورات
الامبريالية الايديولوجية . ويعرف شغيلة العالم كلها أنها ترتبط في الممارسة
بالنضال ضد البرجوازية ، وضد الرأسمالية التي تستغل الفرد وتظلمه ،
وضد الامبريالية التي تستبعد الامم وتخنق حرياتها .

ويحاول الساسة البرجوازيون اليوم أن يسرقوا ورقة من كتابنا ، لكن هذا
ليس عملا آمينا ، لان الشيوعيين هم الذين كانوا — منذ مولد حركتهم — أكثر
أنصار حقوق الكادح وحرياته اتساقا والتزاما وتضحية بالذات . ولان
الشيوعيين هم الذين لم يدخروا جهدا ، وحتى لم يضنوا بالحياة ذاتها ، في
النضال ضد القهر الامبريالي ، وضد التمييز الاجتماعي والقومي والعنصري .

وقد مارس الاتحاد السوفييتي وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى نفوذا
هائلا على النضال من أجل اعتراف القانون الدولي بحقوق الانسان الاقتصادية
الاجتماعية . وبمبادرة من الاتحاد السوفييتي سجلت حقوق الفرد الاقتصادية
— الاجتماعية في الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ ، وفي المواثيق الدولية
عن حقوق الانسان التي أصدرتها الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٦ .
وقد صدق الاتحاد السوفييتي — ككل الدول الاشتراكية الاخرى — على هذه
الوثائق . غير أن الولايات المتحدة والاعلبية الساحقة من البلدان الرأسمالية
ما زالت تمتنع عن التصديق على مواثيق عام ١٩٦٦ .

وليس هذا من قبيل الصدفة . فلنأخذ على سبيل المثال حق بالغ الاهمية
مثل الحق في العمل . ان جيش العاطلين الذي يبلغ في البلدان الرأسمالية
خمسة عشر مليونا — بينهم ثمانية ملايين في الولايات المتحدة أغنى الدول
الرأسمالية — هو اتهام حي لساسة العالم البرجوازي وايديولوجية الذين
يرون القذى في عين الآخرين ولا يرون الشظية التي في أعينهم هم .

أو فلنأخذ مسألة المساواة القومية والعنصرية . ان البطالة بين السود في
الولايات المتحدة ضعفتها بين السكان البيض . ودخل العائلة السوداء المتوسطة
يبلغ نحو نصف دخل العائلة البيضاء المتوسطة . ولا تضيق هذه الهوة وانما
تتسع . ففي الولايات المتحدة تبلغ نسبة العاطلين بين الشباب السود ٤٠٪ .
وليس وضع الهنود الامريكيين بأفضل من هذا . وما زالت المساواة التي يعطنها
الدستور — وكثير من القوانين الاخرى التي تحظر التمييز العنصري — سرايا
في الصحراء بالنسبة للملايين الامريكيين .

ويعرض الدستور السوفييتي الحقوق والحريات التي تكفلها الدولة تماما،
والتي تعد مسئولة عن مراعاتها أمام المجتمع .

ويدرك أوصياء أسلوب الحياة البرجوازي جيدا أن لعبتهم قد انكشفت في

مجال حقوق الفرد الاقتصادية الاجتماعية • ومن هنا فانهم يحاولون أن ينقلوا المناقشة كلياً الى مجال الحقوق السياسية بتفسير ضيق لها • لكن جهودهم حتى هنا محكوم عليها بالفشل •

فالدستور السوفييتي اذ يكفل حقوقاً سياسية واسعة - حرية التعبير والصحافة والاجتماع والمواكب والمظاهرات وحق الانتماء الى المنظمات العامة - يوضح أن هذه الحقوق والحريات تمنح بما يتفق مع مصالح الشعب ، وبهدف تعزيز النظام الاشتراكي •

فما هو وجه الانتقاد هنا ؟ من الطبيعي أن يستهدف دستور مجتمع اشتراكي حماية النظام الاشتراكي ، ويتفق هذا الهدف تماماً مع مصالح الشعب السوفييتي بأسره كما أكدت من جديد الموافقة الاجماعية على الدستور . فكيف يمكن الزعم بأن الاشتراكية تخطيء بالدفاع عن نظام الملكية العامة ، وعن النظام السياسي للشعب بأسره ، وعن السياسة الخارجية المحبة للسلام ، من هجمات الافراد ؟ كلا ، ان هذا ليس حقاً للدولة الاشتراكية فحسب بل هو واجب عليها •

وقد أعرب بعض الناس في البلدان الرأسمالية وهم يعلقون على دستورنا عن قلقهم حول ما اذا كانت للمواطنين الافراد فرصة كافية للتعبير عن آرائهم تنفيذاً للحق في انتقاد النواقص بما في ذلك نشاط مختلف الاشخاص الذين يشغلون مراكز مسئولة والصدام بين مختلف الاتجاهات في الفنون وما الى ذلك • وتلك مسألة عملية ، تحل في المجتمع الاشتراكي بطريقة عملية ، وعلى أساس ديمقراطي متسق ، ولم يقنن الدستور الجديد هذه الممارسة فحسب ، بل وفر كذلك ظروفًا أكثر مواتاة لتطورها واكملها • يقول القانون الاساسي « لكل مواطن الحق في تقديم اقتراحات لاجهزة الدولة والمنظمات العامة لتحسين نشاطها ، وفي انتقاد النواقص في عملها .. واضطهاد بسبب النقد محظور ، وينبغي معاقبة من يرتكب مثل هذا الاضطهاد » •

يتجسد الطابع الشعبي الحق لنظامنا ، واهتمامه بمصالح المجتمع بأسره وكل فرد فيه ، وتمسكه المتسق بقضية السلام في النشاط الابداعي الهائل للدولة السوفييتية • وقد أوضح الدستور للعالم بتحديثه الواسع المهام الدولة ووظائفها في توجيه الاقتصاد الوطني ، الفرض من الدولة الاشتراكية كاداة فعالة لمضاعفة الثروة الاجتماعية ، وتحسين رفاهية الشعب •

ويعصف الدستور أساس دولتنا كما يل : « الهدف الاسمي للانتاج الاجتماعي في ظل الاشتراكية هو اكمل اشباع ممكن لاحتياجات الشعب

المادية والثقافية والفكرية المتزايدة • وما من دستور برجوازي واحد يمكن أن يحوى مثل هذا المبدأ ، وبالأحرى يمكن أن يضعه موضع التطبيق •

فالمدى الهائل للتطور الاقتصادي في عصرنا ، وانجازات العلم والتكنولوجيا التي لم يسبق لها مثيل ، والتي جعلت من الممكن زيادة انتاجية العمل الاجتماعي باستمرار ، قد أبرزت مسألة الادارة الكفء للاقتصاد بوصفها مسألة ملحة • وكان توسع وظائف الدولة البرجوازية في الاقتصاد ، وتطور رأسمالية الدولة الاحتكارية برهانا جديدا على عجز نظام الرأسمالية السياسي عن مواجهة مطالب التقدم الاقتصادي والاجتماعي • ويكشف اتجاه كثير من فروع الاقتصاد البرجوازي الى انتاج الاسلحة ، وتكوين التجمعات العسكرية الصناعية - العسكرية العملاقة بدوره عن الاتجاه المعادي للشعب لنشاط الدولة البرجوازية ، والطبيعة المشبوهة لتدخلها في الحياة الاقتصادية •

والاقتصاد الاشتراكي المخطط الذي أقيم في بلادنا هو التجسيد الحقيقي لفكرة ادارة الشعب ذاته للاقتصاد ، بدون البرجوازية ، بدون الاحتكارات • وهذا هو جوهره الديمقراطي العميق ، وهو أيضا أساس الاتجاه السياسي - الاجتماعي لتقدم بلادنا الاقتصادي • واليوم حيث يستطيع العالم كله أن يرى نتائج ستين عاما من تطور الاتحاد السوفيتي فإن أحدا لا يستطيع أن يشك في أن هذا بناء سلمي ، يستهدف كليا اكمال المجتمع ، وتحسين رفاهية العاملين • فالاتحاد السوفيتي يكرس كل قواه لهدف عظيم هو بناء الشيوعية على أرضه ، وإذا كان هذا « خطر » فإنه ليس بالتأكيد الخطر الذي يتحدرت. لخلق نموذج لنظام اجتماعي أكثر كمالا وفعالية وعدالة وديمقراطية •

ويعبر بعض المعلقين الاجانب عن شكهم في أن يكون الدستور قد أدلى. مثل هذا الدور الكبير للدولة ، وعما إذا لم يؤد هذا الى تراخي نشاط المؤسسات الاجتماعية التي تمثل الجمهور بمجموعة • أفلا يضاعف الدستور عناصر المركزية على حساب الديمقراطية في توجيه الاقتصاد والعمليات الاجتماعية والثقافية ؟

وسنرد على الفور بأنه لا أساس لمثل هذه المخاوف ، فالواقع ، ما زال يسند للدولة الاشتراكية دور هائل في توجيه حياة مجتمعنا ، غير أن هناك في الوقت نفسه - وإلى جانب الاكمال الدائم لعمل جهاز الدولة - اجراءات جديدة باللغة الاهمية لتعزيز المبادئ الديمقراطية والشعبية لنشاطها • ويتزايد دور المنظمات العامة في توجيه شئون المجتمع والدولة تزايدا كبيرا ، وتتعزز الرقابة الشعبية •

وتكمن إحدى السمات الأساسية للنظام السياسي السوفيتي في المزج العضوي بين الدولة والمبادئ الاجتماعية ، وبين عمل الأجهزة السياسية ونشاط الشعب ذاته وإبداعه •

والمثل الواضح على ذلك هو دور جماعات العاملين في تدبير شئون المصانع والمزارع الجماعية ومزارع الدولة بل وكذلك في توجيه المجتمع السوفييتي بأسره . ويرفع الدستور الجديد هذا الدور الى مستوى جديد أرقى ، فهو يقول في فصله الاول : « تشترك جماعات العاملين في مناقشة شئون الدولة والشئون العامة وتقريرها ، وفي تخطيط الانتاج والتطور الاجتماعي ، وفي تدريب الكوادر وتوزيعها ، وفي مناقشة وتقرير المسائل المتعلقة بإدارة المنشآت والمؤسسات ، وتحسين ظروف العمل والمعيشة ، واستخدام الارصدة المخصصة لكل من تطوير الانتاج وللأغراض الاجتماعية والثقافية والحفاظ » ، وما من دستور برجوازي واحد يتضمن - أو يمكنه أن يتضمن - مثل هذا الرأي . وليس من قبيل الصدفة أن مشاركة العمال في إدارة المنشآت من أهم المواضيع في صراع الجماهير العاملة في البلدان الرأسمالية . فللاحتكارات سيطرة كاملة على إدارة الورش والمصانع وهي في الممارسة لاتعطي العمال أي دور في ذلك . أما عن النشاط السياسي لجماعات العاملين وإبدائها رأيها بشأن المسائل الأساسية لسياسة الدولة والقيام بأعمال تتعلق بذلك فتلك أمور تحظر في المنشآت الرأسمالية وتقمع .

ومن السمات الأساسية لدولتنا أن هيئاتها محاطة بالملايين من العناصر النشيطة التي لا تنتمي الى جهاز الدولة لكنها تسهم يوميا في إدارة الدولة . فمن هم هؤلاء النشطون ؟ أنهم يضمون ٣٥ مليون شخص يعملون مع النواب في سوفييتات نواب الشعب : ٩٥ مليونا منهم ممثلون في الرقابة الشعبية ، و ٣٥٠ مليوناً من أعضاء مؤتمرات الانتاج الدائمة في الورش والمصانع ، و ٣٠٠٠٠ من أعضاء هيئات إدارة المزارع الجماعية وتشير التقديرات الى أن واحداً من كل أربعة من مواطني بلادنا فوق سن الثامنة عشر يشترك بدور نشيط في الإدارة اليومية لشئون الدولة .

وليس لأحداث الايديولوجيين البرجوازيين عن دور الحزب الشيوعي في نظام بلادنا السياسي أية علاقة بالواقع . ولا يفهم المدافعون عن البرجوازية - أو يرفضون أن يفهموا - أن الدور الذي يلعبه الحزب الشيوعي في ظروف الاشتراكية لا يمكن أن يقارن بدون الاحزاب البرجوازية في البلدان الرأسمالية . فالحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ، حزب الطبقة العاملة ، هو طليعة الشعب السوفييتي بأسره ، وهو يجسد كل ما هو تقدمي وثوري ، كل ما يوجد بين العمال والفلاحين والفئة المثقفة من كفاة مهنية وإخلاص للشيوعية . انه زهرة الشعب ومصدر اعتزازه ، وهو في الوقت ذاته لحم ودم الشعب نفسه .

ودور الطليعة ليس مجرد شرف بل مسئولية كبيرة ، وقد كان الشيوعيون السوفييت دائماً في أشق القطاعات وأخطرها في الحرب الاهلية والحرب الوطنية . واليوم أيضا يؤدي الشيوعيون أعقد المهام وأشقها في البناء الاقتصادي وفي القوات المسلحة وفي نشاط الدولة في مجال السياسة الخارجية .

ان صياغة أهداف تطور البلاد الاجتماعي وآفاقه في عمليات التوجيه في ظروف النمو الهائل لنطاق الاقتصاد ، وتعمق المهام الاجتماعية ، وزيادة تعقد قضايا الحياة الدولية . والحزب كطليعة للشعب هو وحده الذي يمكن أن يؤدي بنجاح هذه الوظيفة الهامة بالغة المسؤولية . انه هيئة أركان حرب حياة البلاد النظرية والسياسية .

وأكثر ما يجد المدافعون عن الديمقراطية البرجوازية صعوبة في فهم حقيقة بسيطة هي أن الشيوعيين ليسوا مجرد مجموعة من الموظفين في منظمات الحزب العليا كما تعمل الأحزاب البرجوازية . فالشيوعيون الذين يزيد عددهم على ١٦ مليون عضو في الحزب - هم أكثر أقسام الشعب نشاطا وفصيلته الامامية ، وكلهم ينغمسون يوميا وعلى الدوام في أداء مختلف مهام ادارة الشؤون العامة وشئون الدولة على كل المستويات . وتلك سمة أساسية لنظامنا السياسي ، ولها أفضلية على النظام البرجوازي بما لا سبيل الى مقارنته حيث الادارة امتياز لاشخاص في السلطة يمثلون مصالح الطبقة الحاكمة .

ويحدد الدستور الجديد دور الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي باعتباره القوة القائدة والمرشدة لمجتمعنا ودولتنا ، كما يحدد مكانه في النظام السياسي للاتحاد السوفيتي ، ويرسي اطارا دستوريا محددا لنشاط منظمات الحزب ، ويصوغ المبدأ الحيوي التالي : « تعمل كل منظمات الحزب داخل اطار دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية » . وتستهدف هذه القاعدة زيادة دور الدستور كقانون أساسي ، وتحديد مهام الحزب ومؤسسات نظامنا السياسي الاخرى ووظائفها بوضوح . ولهذا التناول أهمية عملية وأساسية هائلة ، وهو يمكننا من تحسين الكفاءة في كل توجيه للمجتمع الاشتراكي ، وتطبيق المبادئ العلمية للادارة باتساق أكبر .

ويضع الايديولوجية البرجوازية خبرة تطور النظام السياسي للاشتراكية القائمة موضع المعارضة من نظام تعدد الأحزاب ، لكن نظام تعدد الأحزاب لم يظهر كمنحة من الدولة البرجوازية للجماهير . وهو لا يعني في بعض الدول البرجوازية حتى في وقتنا هذا الوجود عدة أحزاب للبرجوازية ذاتها . وقد انتزع العمال والفلاحون وغيرهم من مجموعات العاملين حق وجود أحزابهم - بما فيها الأحزاب الشيوعية والعمالية - من الدولة البرجوازية في مجرى نضال عنيف لا هوادة فيه استمر قرونا . غير أن خبرة القرن العشرين كلها تشهد بأن رأس المال الاحتكاري يفعل كل شيء في أوقات الازمة لالغاء هذه الكاسب ، وإزالة الأحزاب التقدمية الثورية ، وخطر تمثيل العمال وغيرهم من الكادحين في البرلمان أو تضييق ذلك للغاية .

واننا لننصح للدافعين المتحمسين عن الديمقراطية البرجوازية الذين يسكون بعدسة مكبرة في أيديهم بحثا عن الاساءات الى الحقوق في البلدان الاشتراكية أن ينظروا الى ماضى الدول الرأسمالية غير البعيد . لقد ظهرت الفاشية الالمانية في ظروف ديمقراطية « التعدد » في ألمانيا أثناء جمهورية فيمار حيث كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي في السلطة لعدة سنوات .

وان قيام دكتاتورية فاشية لا في منطقة نائية ، وانما في قلب أوروبا بتقاليدها الديمقراطية الطويلة (ألمانيا وإيطاليا) ليؤكد بجلاء ما قاله الشيوعيون ، ما قاله لينين ، قبل ذلك بأمد طويل وهو أن الدولة البرجوازية مريضة مرضا قاتلا ، وأن لديها اتجاه واضحا لبند الديمقراطية . ولا يستطيع أن يحول دون هذه الدولة والانزلاق في هوة العسكرية والرجعية السوداء الا فضال الطبقة العاملة النشيط المتسق المنكر للذات بالتحالف مع الفلاحين والمثقفين التقدميين .

٧ من السمات المميزة للدولة السوفيتية التحسين المستمر للديمقراطية الاشتراكية وتطويرها . فبعد أن مرت دولتنا بفترة دكتاتورية البروليتاريا ، التي ولدتها الحاجة الى الدفاع عن مكاسب الثورة ، وقمع مقاومة الاعداء الطبقيين ، وتحويل العلاقات الاجتماعية تحويلا أساسيا نمت لتصبح دولة للشعب بأسره ، تعبر عن ارادة ومصالح كل الطبقات والمجموعات والامم والقوميات في بلادنا . وهذا هو التعبير الاساسي عن تقدم الديمقراطية الاشتراكية ، والانجاز السياسي الرئيسي للطريق الذي عبرته منذ ثورة أكتوبر العظمى .

والدستور ذاته لا يصوغ مستوى الديمقراطية الحالي فحسب ، بل يضع كذلك برنامجا لتطورها اللاحق . يقول الدستور « الاتجاه الرئيسي في تطور النظام السياسي للمجتمع السوفيتي هو توسيع انديموقراطية الاشتراكية ، وبالتحديد المشاركة الاوسع للمواطنين في ادارة شئون المجتمع واندولة ، والتحسين المستمر لجهاز الدولة ، والارتفاع بنشاط المنظمات العامة ، وتعزيز نظام الرقابة الشعبية ، وتوطيد الاساس القانوني لسير الدولة والحياة العامة ، وتوفير قدر أكبر من العلنية ، والاستجابة الدائمة للرأي العام » .

وتطور الديمقراطية الاشتراكية أمر مستمد من طبيعة الاشتراكية ذاتها من حيث أنها المرحلة الاولى للشيوعية . ويعلن دستور الاتحاد السوفيتي بعبارات قاطعة ان الهدف الاسمي للدولة السوفيتية هو بناء مجتمع شيوعي لا طبقي ، تتطور فيه الادارة الذاتية الاجتماعية الشيوعية . وأيا كان طول الطريق نحو هذه الغاية ، أيا كانت صعوبة العقبات التي يقبض التغلب عليها ، فإن النضال لتحقيقها يستثير بذاته التقدم الشامل للمجتمع ، بما في ذلك مجال العلاقات السياسية .

٨ لاحظت الاحزاب الشقيقة أن لتطوير الدستور الجديد للنظرية الماركسية اللينينية عن الدولة أهمية كبيرة .

وقد أجاب حزبنا ولجنته المركزية ومكتبه السياسي بقيادة ليونيد بريجنيف - الذي يواصل بإخلاص قضية لينين العظمى والتغفر البارز لنسلاهم والتقدم الاجتماعي - عن هذه الاسئلة ، وطوروا النظرية الماركسية اللينينية عن الدولة ، وعن الديمقراطية الاشتراكية ، وعن كل نظامنا

- السياسى ، بما يتفق مع المرحلة المعاصرة من البناء الشيوعى .
- وتشمل الافكار الرئيسية التى صاغها الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية اللينينية .
- فكرة الاشتراكية المتطورة كمرحلة من مراحل انتقال المجتمع الى الشيوعية .
- فكرة تحول دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب باسمه كإداة حيوية فى بناء الشيوعية .
- نظرية الحزب كقوة قائدة وموجهة فى النظام السياسى وفى مجتمع الاشتراكية المتطورة كله .
- المبادئ العلمية لتوجيه المجتمع والدولة على اساس المزج بين منجزات الثورة العلمية والتكنولوجيا ومزايا النظام الاشتراكى .
- تحديد مبادئ العلاقات المتبادلة بين بلدان الاسرة الاشتراكية على اساس الاممية الاشتراكية والمساواة والمساعدة المتبادلة والتكامل الاقتصادى والتعاون الشامل .
- تحديد المبادئ الجديدة للعلاقات المتبادلة بين البلدان الاشتراكية والبلدان التى تحررت من السيطرة الاستعمارية .
- التحديد الواسع لمبادئ التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة الخ
- وهذه الافكار منصوح عليها اليوم فى الدستور السوفييتى الجديد ، وهى تشكل القانون الاساسى لحياة مجتمعنا ودولتنا ، وتحدد آفاق تطورها نحو الشيوعية .
- لقد خلقت السنوات الستون من وجود الدولة الاشتراكية السوفيتية ، وما يقرب من ثلاثين عاما من تطور الدول الاخرى فى النظام الاشتراكى العالمى ، نموذجا رائعا وتشكيلة واسعة فى الاشكال والاساليب التى تمارس بها الطبقة العاملة دورها القيادى ، وتشترك بها الجماهير العاملة فى ادارة الدولة . واذ يمضى الزمن ستصبح الخبرة العملية للاشتراكية القائمة بديمقراطيتها ذات الطراز الاشتراكى الجديد أكثر أهمية للشعوب الاخرى ، ولكل القوى التقدمية فى العصر الحديث .
- ويؤكد هذه النتيجة أن الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين التقدميين والاقسام الواسعة من البرجوازية الصغيرة تجد فى خبرة الاشتراكية القائمة التى تتجسد بوضوح فى الدستور السوفييتى الجديد ، المثال والالهام لتطوير نضالها ضد الاحتكارات بالغة القوة فى البلدان الرأسمالية المتطورة كما تؤكد هذه الحقيقة خبرة بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث تناضل القوى التقدمية الآن من أجل سلطة الجماهير العاملة ، ومن أجل توجه اشتراكى .

الرأسمالية وأزمة ٧٤-١٩٧٥

بقلم : ماكس شميدت

لم يحدث من قبل منذ الحرب العالمية الثانية ، أن كان تطور الرأسمالية غير المستقر والذي تخلفه الأزمة بمثل هذا الوضوح الذي كان عليه في السبعينات . ان تفاقم الأزمة العامة للرأسمالية يتجه بشكل متزايد الى تدهور الظروف التي توجد فيها . وليس الوضع اللوئى بمفرده هو الذى تغير بشكل ملحوظ ضد الرأسمالية . لقد تفاقم تناقضاتها وعداوتها الطبقة الداخلية بصورة حادة وحدثت تغيرات سياسية اجتماعية واقتصادية عميقة .

والوضع الحالى فى البلدان الرأسمالية حدده بوضوح ليونيد بريجنيف عندما قال : « ان الرأسمالية تكشف بوضوح متزايد عن انها مجتمع بلا مستقبل . فافتصادها مصاب بحمى مزمنة . والتقدم التكنولوجى يطرد جماهير العمال خارج المصانع على نطاق يهدد بزعزعة النظام السياسى الاجتماعى بكامله » .

ولنتذكر أن المدافعين عن الرأسمالية كانوا قد تنبأوا للسبعينات برخاء مستقر وإصلاحات اجتماعية واسعة تؤدي الى تفوق الغرب الرأسمالي وطريقة الحياة الغربية على طول الزمن .

وانه إن المهم أن نحلل الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة وآثارها ليس فقط لأن التناقضات الحادة للرأسمالية التي سببتها لا تزال قائمة ، ومشكلة التغلب على آثارها ما تزال مشكلة ملحة . لقد كانت أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ من وجوه عديدة ، غير عادية وفريدة ، وسوف تساعدنا دراستها على إثراء فهمنا للازمات الدورية وللدورات الاقتصادية بشكل عام . وأخيرا ، فبدون تحليل لهذه الازمة من المستحيل الخروج بأية استنتاجات تركز على العلم اما حول الافاق العاجلة أو الأكثر بعدا لتطوير اقتصاد وسياسة الرأسمالية .

وقد قيل في المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي الألماني الموحد : « في الوقت الذي تمثل فيه الازمة العامة للرأسمالية شيئا ملازما على الدوام للرأسمالية في مرحلة تطورها الأخيرة وستصاحبها حتى أيامها الأخيرة ، فإن الازمات الدورية تأتي وتروح ، كما اكتشف ماركس وأكد التاريخ . ومع ذلك ، فمنذ بداية السبعينات بدأت الطريقة الخاصة التي تتشابك بها الازمة العامة والازمات الدورية للرأسمالية ، تكشف عن نفسها » .

وهذا التشابك هو السبب في أن أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ قد ازدادت عمقا واتساعا وطالت ، وكان لذلك - وهذا هو الأهم - آثار أكثر تدميرا من أية أزمة طوال السنوات الأربعين الماضية . انه يفسر كذلك السبب في أن الازمة دلت على تحول حاد في تطور الرأسمالية العالمية ، وفي أن التناقضات والنزاعات الرأسمالية تتداخل في عقدة مستعصية . وسوف تمارس هذه العداوات تأثيرا طويلا الامد على تطور الرأسمالية .

وتظهر مشاكل نظرية وعملية جديدة في الصراع الطبقي تمشيا مع النطاق الجديد لتناقضات الرأسمالية . وترجع هذه المشاكل في المحل الاول الى الحقيقة الماثلة في أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الموضوعية للانتقال الى الاشتراكية قد وصلت في البلدان الرأسمالية الى درجة عالية من النضوج وهناك دفع هائل ومتزايد للتغيير الراديكالي .

وترجع الطريقة المتميزة التي تتشابك بها الازمة العامة والازمات الدورية في المحل الاول الى الظروف المتغيرة التي وجدت فيها الامبريالية في منتصف السبعينات .

وهذه الظروف هي ، أولا ، توازن القوى في الساحة الدولية الذي يميل لصالح الاشتراكية نتيجة لتزايد القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية للاسرة الاشتراكية ، ولقوة جذب الاشتراكية ، التي تكشف عن مزاياها بصورة متزايدة ، بما في ذلك مزاياها في مجال الانتاج .

ويساعد التغير في ميزان القوى على اقرار مبادئ التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة فى العلاقات الدولية . ويساعد ذلك على مواجهة محاولات الامبريالية حل التناقضات والأزمات الداخلية فى طريق أساليبها المجربة ، بما فى ذلك الغامرات العسكرية ، والتوسع الاقتصادى ، والعدوان ضد البلدان الاشتراكية ، وكذلك نهب البلدان النامية .

واحد العوامل الاخرى الكامنة خلف الظروف المتغيرة التى توجد فيها الامبريالية هو القضاء على نظامها الاستعماري ، ورفض عديد من البلدان النامية تبني الطريق الرأسمالي للتطور ، وتوجهها نحو الاشتراكية ، بما يترتب على ذلك من فقدان الامبريالية بالتدريج لسيطرتها على موارد الطاقة والمواد الخام الرئيسية ، ومن انها لم تعد قادرة على فرض الاسعار لانواع عدة من المنتجات فى السوق الرأسمالي العالمى . وقد أصبح كل ميكانيزم العلاقات الاقتصادية الدولية لرأسمالية الدولة فى البلدان الامبريالية مع البلدان النامية محلا لاعادة النظر . وتحت تأثير هذه العوامل ازدادت بدرجة ملحوظة حدة العداوات والتناقضات الاقتصادية الاساسية للنظام الرأسمالي فى كافة البلدان .

واحد السمات الخاصة الاخرى للوضع هو أن عددا من الظواهر الجديدة: فى الاقتصاد الرأسمالي قد مارست تأثيرا هاما على مجرى الازمة وآثارها . فهناك ، أولا ، الازمات البنوية العميقة على نطاق الاقتصاد بكامله ، بما فى ذلك قطاعى الطاقة والمواد الخام ، والبنية السفلى ، والقطاعات الرئيسية فى الاقتصاد مثل المعادن ، وبناء السفن والانشاءات ، والمجالات غير المنتجة: « التعليم ، وحماية البيئة ، والصحة العامة ، والضمان الاجتماعى » . ويتضمن ذلك أيضا العمليات الطويلة الاجل للتلاؤم الاقتصادى الناجمة عن الاتجاه نحو التوزيع التكنولوجى والمنافسة المتزايدة الحدة بين مراكز الامبريالية وبين البلدان المفردة .

لقد اكتسب التضخم نطاقا لم يسبق له مثيل فى وقت السلم وأصبح ملازما دائما للرأسمالية ، يعمل فى كل طور من الدورة دون استثناء . وازمة فائض الانتاج ، مرتبطة بالتضخم الذى اجتاحت البلدان الرأسمالية ، هى ظاهرة جديدة تماما فى تاريخ الازمات الدورية . وزاد ذلك على وجه الخصوص من حدة عدم استقرار الاقتصاد الرأسمالي العالمى والعمل العشوائي لقواه . ان نمو الاسعار الكبير قد فوض على الدوام من تناسب القيمة ، وقلل من الحوافز لتجديد الأصول ، وأشاع الاضطراب فى نظام الائتمان بكامله . وكانت خطا التضخم الواسعة تعنى نموا سريعا فى تكاليف المعيشة .

فما هو أثر هذه العناصر غير الدورية عندما توضع فوق العوامل الدورية ؟ أولا ، ينبغي أن نتذكر أن التدهور فى الانتاج الصناعى كان كبيرا للغاية . ووصل البهوط من أعلا مستوى قبل الازمة الى أدنى نقطة فى الازمة الى ١٣ر١٪ فى الولايات المتحدة ، ١٩ر٩٪ فى اليابان ، ١٧ر١٪ فى ألمانيا الفيدرالية ،

وهكذا • وتكشف هذه الأرقام عن أكبر شلل في القوى المنتجة خلال العقود القليلة الماضية • لقد بلغت تسهيلات الإنتاج غير المستخدمة ، والإغلاق الكامل أو الجزئي للمؤسسات ، ووقف الإنتاج ، واعداد السلع ، وافلاس الشركات ، والبطالة الواسعة ، أبعادا هائلة •

ولأن الأزمة أصابت البلدان الامبريالية الرئيسية في نفس الوقت ، فقد تقلصت التجارة العالمية للبلدان الرأسمالية لأول مرة منذ ١٩٤٥ • وعند أدنى نقطة في الأزمة عام ١٩٧٥ ، كانت أقل ٦٪ ، مما يعنى هبوطا أكبر من هبوط الناتج القومي الإجمالي « ٣٪ » • وبالصدفة ، فلولا اتساع الصلات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية ، لكنت أزمة التجارة العالمية أكثر تدميرا بدون شك • لقد كانت الأزمة والمنافسة الممتدة بين الاحتكارات سببا في الارتداد الصريح إلى نزعة الحماية في سياسة التجارة الخارجية للبلدان الرأسمالية ، وفي هذا ما يشير إلى أن ميكانيزم تقسيم العمل الدولي قد اختل لدرجة كبيرة •

كان نمو البطالة شيئا ملازما على الدوام للزمات الدورية ، ولم تكن أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ استثناء في هذا الخصوص • ففي كافة البلدان الرأسمالية الرئيسية كانت البطالة تتزايد بسرعة • ولأول مرة خلال عقود ، تشهد ألمانيا الغربية واليابان فترة عمالة جزئية وبطالة واسعة وطويلة • ومع ذلك ، كانت حالة سوق العمل غير عادية ، لأن البطالة بدلا من أن تتلاشى ، انتشرت لفصائل جديدة من الجماهير العاملة في طور الانعاش •

وسمة مميزة للازمة الاقتصادية لعام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ هي التخريب الحاد لعمليات اعادة الانتاج نتيجة للنمو السريع في أسعار النفط والمواد الخام والمواد الغذائية • والاسباب السياسية الاقتصادية لازمت الطاقة والمواد الخام والغذاء تضرب بجذورها في التغير العميق في العلاقات بين البلدان الامبريالية الاستعمارية السابقة وبين البلدان النامية •

وكشفت الازمة كذلك عن عدم جدوى الادوات المتاحة أمام تنظيم احتكار الدولة للاقتصاد • إذ لم تقدم أي من التنبؤات الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة الأجل للنظرة إلى السوق ، وأى من عمليات البرمجة ، أو « العمل الدؤوب » النتائج المرجوة ، واثبتت عدم صلاحيتها جميعا أمام السيادة العشوائية لقوى الاقتصاد الرأسمالي •

وأحد السمات الأخرى لازمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ هو أن ظاهرة الازمة انتشرت من المجال الاقتصادي إلى المجال السياسي بشكل أسرع وأكثر مباشرة • وزادت حدة عدم استقرار المجتمع البرجوازي نتيجة لعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ، وزيادة حدة الصراع الطبقي ، واستمرار استقطاب الطبقات • ويواصل الوضع السياسي الداخلي عدم استقراره ولا يستطيع النظام البرلماني البرجوازي أن يقوم بوظائفه كما كان يفعل ذات يوم •

وكل تلك الظواهر تؤكد أن أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ لم تكن أزمة دورية « معتادة » ، وإنما تعدت هذا الإطار . فالأثر « الكلاسيكي » للآزمات هي أن تقلل بشكل مؤقت وجزئي من التناسب الذي تدعم في الوحدات المختلفة للاقتصاد وأن تعيد التوازن بين الإنتاج والاستهلاك . وهذا ما لم تفعله الأزمة الأخيرة إلا جزئيا فحسب وبدرجة أقل حسما بالمقارنة مع الآزمات السابقة .

ورغم أن معظم البلدان الرأسمالية كانت قد انتقلت بالفعل عام ١٩٧٦ إلى طور الانتعاش ، ووصل الإنتاج الصناعي في البلدان الرأسمالية الرئيسية والتجارة الرأسمالية العالمية إلى مستويات ما قبل الأزمة ، بل وحتى تخطاه ، فإن آثار أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ما تزال محسوسة .

وبالمقارنة بالآزمات السابقة ، فشلت تلك الأزمة في حفز الاستثمار من أجل توسيع الإنتاج ، ومساعدة التغلب على الآزمات البنيوية وأزمة الغذاء ، أو التخلص من الأزمة في تقسيم العمل الدولي الرأسمالي . وبين التحليل أن عقدة التناقضات والنزاعات لابد وأن تمارس تأثيرا عميقا على التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للرأسمالية خلال فترة طويلة نسبيا ، تسعى الرأسمالية أثناءها إلى ملامة نفسها مع الظروف الجديدة .

وخلال مجرى أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، وبدرجة ملحوظة فيما بعد ، ظهر عدد من الجوانب الجديدة في التكتيكات البرجوازية ، يعكس مخططات استراتيجية طويلة الأمد للبرجوازية الاحتكارية تهدف إلى المحافظة على مواقعها وسلطتها وزيادة تعزيزها ، ومضاعفة الأرباح . وعلى الطبقة العاملة وتنظيماتها السياسية أن تضع هذه المخططات في حسابها .

وترتبط هذه الجوانب الجديدة في المحل الأول بحقيقة أن عمليات تحقيق الأرباح والاحتكار قد اكتسبت نطاقا دوليا جديدا . فاحتكارات البلدان الصناعية قد حصلت على مزايا لم يسبق لها مثيل من دورة رأسمالها على أساس نمو سريع للأرباح ، التي ارتفعت إلى مستويات قياسية خلال وبعد الأزمة . وينطبق ذلك أولا على الاحتكارات العاملة في صناعة السيارات والكيمويات والهندسة الكهربائية ، أي ، تلك التي تنتمي إلى المجموعات الاحتكارية التي تشارك بصورة أو بأخرى في التجمع العسكري الصناعي . وحتى وفقا للمعطيات الرسمية ، في ١٩٧٦ ، زادت أرباح الاحتكارات الصناعية الأمريكية في المتوسط ٢٩٪ . وفي جمهورية ألمانيا الفيدرالية زادت عوائد الأرباح التي تدفعها الشركات المساهمة حوالي ٣٠٠ مليون مارك . وزادت أرباح ١٠٠ من الاحتكارات الصناعية الرئيسية في جمهورية ألمانيا الفيدرالية من إجمالي ٤٤٧٠٠ مليون مارك عام ١٩٧٥ إلى ٥٤٣٠٠ مليون مارك عام ١٩٧٦ .

وتحصل الاحتكارات على أرباحها الخيالية لدرجة كبيرة من إعانات الدعم التي تقدمها الدولة ، والتي تصل إلى بلايين الماركات ، ومن تدابيرها المحكمة لترشيد الإنتاج والإدارة ، ومن تحكمها في سياسة الأسعار . ويعتبر تزايد

السيطرة على النشاط الاقتصادي من قبل البنوك الاحتكارية الرئيسية هامة للغاية في زيادة الارباح . وفي الفترة من ١٩٧٤ الى ١٩٧٦ ، زادت سرعة تركيز الانتاج ورأس المال بدرجة كبيرة نتيجة للتركز السريع الخطأ لرأس المال وابتلاع المنافسين الأضعف . وكان هناك نمو ملحوظ للاتجاه نحو الاحتكار حتى في قطاعات من الاقتصاد كانت المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تشكل قسما كبيرا نسبيا منه . وفي تلك الفترة بلغ عدد عمليات الاندماج في ألمانيا الفيدرالية ٤٠٦ في المتوسط في السنة ، وهو ما يزيد ٥٠٪ عن ارقام ١٩٧٠ - ١٩٧٣ « ٢٥٩ » . كما تضاعف على وجه التقريب عدد الافلاسات « ٨٧٦٠ في المتوسط في السنة » بالمقارنة مع فترة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ « ٤٦٨٢ » .

ان تركيز الانتاج ورأس المال على مستوى دولي قد اتخذ أبعادا لم يسبق لها مثيل : ان ٦٥٠ احتكار صناعي كبير « تزيد أصوله عن ١٠٠٠ مليون دولار » تسيطر الآن على ٦٠٪ من تجارة العالم الرأسمالي « ولثلثها على الأقل عمليات تجارية بين الاحتكارات » بينما تتحكم أربعة احتكارات دولية عملاقة في ١٠٪ من إجمالي مبيعات هذه الاحتكارات . وفي غرب أوروبا بلغ التركيز أقصى مداه في صناعة المعادن ، وتكرير النفط ، وصناعة الطائرات ، وأشباه الموصلات . واستخدام الاحتكارات لآخر منجزات الثورة العلمية والتكنيكية ، وبخاصة في الالكترونيات الدقيقة ، يساعد كذلك على دفع تركيز الانتاج ورأس المال . ولما كانت الظواهر الدورية تتشابك بشكل متزايد مع الازمة العامة للرأسمالية ، فان هناك عدم استواء متزايد في تطور الاحتكارات ، مع تغييرات دائمة في مكانتها وظهور تناقضات جديدة بين الاحتكارات الرئيسية متعددة الجنسية . بيد أن السمر المتزايد بحدته الذي يجب على الاحتكارات أن تدفعه للمخاطرة في ظروف التقدم العلمي والتكنيكي يجبرها على السعي الى الانفاق والمساومة . لقد حاولت البرجوازية أن « تنظم » العلاقات الطبقية ، جزئيا من خلال سياستها القائمة على « العمل المنسق » أو « العقود الاجتماعية » (ألمانيا الفيدرالية ، وبريطانيا ، والسويد ، والنمسا ، والدانمرك) وجزئيا من خلال البرمجة الاقتصادية « فرنسا ، إيطاليا ، وهولندا » .

وسوف تؤدي الاتجاهات نحو تكثيف تنظيم احتكار الدولة على المستويين القومي والدولي الى مزيد من تباين الادوات ، التي تميل لدرجة كبيرة الى تقويض بعضها البعض . وبهذه الطريقة فان العلاقة المتناقضة بين التنظيم والعمل الحر بقوى السوق ، وهو الشيء الكامن في رأسمالية احتكار الدولة ، انما يزود بدفعات وأشكال حركة جديدة . والتنظيم على نطاق دولي ، وهو ماتسعي الدول الامبريالية الرئيسية الى ممارسته ، هو محاولة للامعة المرحلة الجديدة والارقي لتدويل الاحتكار الخاص للحياة الاقتصادية ، الذي يحدده توسع الاحتكارات الدولية . بيد ان مثل هذا النوع من التنظيم لن يساعد في التغلب على ثنائية الاحتكارات الدولية وما يرتبط بها من تناقضات . والتحرك الحالي من طور الازمة لايسنى على الاطلاق أن تشابك الازمة العامة المتفاقمة للرأسمالية والتطور الدوري للاقتصاد الرأسمالي مشكلة أمكن تحطيمها .

فهناك ما هو أكثر من مجرد تراكب طويل نسبيا في زمن الازمات العامة والنسبية الأخيرة وتفاعلها المتبادل . وفي الحقيقة ، فتلك ظاهرة جديدة النطاق تماما ، ينتج تأثيرها الى الانتشار ليس فقط الى الدورة الاقتصادية الجديدة التي بدأت ، وانما الى نطاق أبعد ، الى التطور الاقتصادي للرأسمالية في مجموعها .

ولهذا ، على ما اعتقد ، فهناك ما يدعو الى اعتبار الوضع الحالي كنقطة تحول ، وأن تميز سمات جديدة نوعيا في التطور الاقتصادي وبالتالي ، السياسي والايديولوجي للرأسمالية .

ونظرا للتشابه الواسع ، فان الدورة الاقتصادية الجديدة تتشكل بصعوبة كبيرة وبخطا بطيئة . والخروج من الازمة يستغرق وقتا أطول ويتميز بعدم الاستقرار ، ويتسم بالكساد وحتى بتدهورات هامة . وربما كان عدم الاستقرار المتزايد هو السمة المميزة للوضع الراهن . ومع ذلك ، فاننا لانهون بآية حال من أنه في النصف الاول من ١٩٧٧ زاد اجمالي الناتج القومي ٥٪ ، والانتاج الصناعي ٦٪ ، والتجارة الخارجية ٨٪ . وماتزال للرأسمالية بدون شك امكانات اقتصادية هامة ، بيد أن الخروج من الازمة يزيد من بطئه على الدوام الازمات في الصناعات الهامة « الصلب ، المنسوجات ، بناء السفن ، الانشاء » والبطالة التي ارتفعت لارقام قياسية ، والعجز الذي لم يسبق له مثيل في الميزانية ، والتشويشات في موازين التجارة والمدفوعات ، والتضخم المستمر وحالة القوضى التي تسود النظام النقدي العالمي للرأسمالية .

ووفقا لتقديرانا ، فان معدل النمو الاقتصادي ، وبخاصة النمو الصناعي ، سيقبل في أغلب الاحتمالات عن معدلات الخمسينات والستينيات . لقد قامت أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ بوظيفتها « الكلاسيكية » جزئيا فحسب ، بدون أن تخلق حافزا لانتعاش أقوى . وبالإضافة الى ذلك فان كثيرا من العوامل التي ساعدت على زيادة معدل النمو في هذين العقدين كفت عن أن يكون لها تأثير .

وبينما تزايدت حدة الطلب على وسائل الانتاج خلال الفترة الأخيرة « وبخاصة في الولايات المتحدة وجمهورية المانيا الفيدرالية » فاننا نتوقع انتعاشا أقل كثيرا للاستثمار الخاص ، وبخاصة لتوسيع الاصول الثابتة ، بالمقارنة مع أطوار الانتعاش الدورية السابقة . واذا ما وضعنا في الاعتبار أن تحميل الطاقات الانتاجية قد توقف بالفعل عند مستوى منخفض نسبيا ، فان نمو الاستثمار الى توسيع للطاقات ، اذا ما حدث على الاطلاق ، لابد وأن يتخلف عن الاستثمار الى تحسين الانتاج أو ما يسمى بالترشييد .

وخلال أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، وبخاصة فيما بعدها ، بذلت جهود كبيرة في البلدان الرأسمالية الصناعية لتحقيق ما يشبه التقدم السريع الخطأ في التقدم العلمي والتكنيكي والاستفادة القصوى من منجزاته في الانتاج ، مؤديا بذلك الى تحسين هيكله في الاساس . ان التعمير التكنيكي لصناعات بأكملها ، واساسا

من خلال ادخال آخر التجهيزات الالكترونية والحاسبة ، زاد لدرجة كبيرة من طاقة الانتاج . وهكذا أنتج مزيد من السلع يبلغ ٧٢٪ في ألمانيا الفيدرالية ، عام ١٩٧٦ ، بقوة عمل تقل ٢٥٪ . وخلال هذا العام ارتفع انتاج الفرد في الساعة في الصناعات التحويلية كما يلي : الولايات المتحدة ٥٪ ، اليابان ١٣٪ ، ألمانيا الفيدرالية ٧٪ ، فرنسا ١٢٪ ، وإيطاليا ٧٪ . وفي جمهورية ألمانيا الفيدرالية زاد الانتاج لكل عامل مستخدم ١٧٣٪ في الصناعات الكيماوية ، ١٧٧٪ في الحاسبات ، ١٢٨٪ في الهندسة الكهربائية .

وهذا دليل على محاولات احتكار الدولة الرأسمالية لان يعوض لاقصى درجة الخسائر في الارباح الناجمة عن تدهور نمو الانتاج الصناعى يجعل الانتاج أكثر كفاءة ، وتكثيف عمليات الانتاج ، وفي المحل الاول تكثيف استغلال الجماهير العاملة . ويشير ذلك الى تغير في ظروف اعادة انتاج رأس المال تحت تأثير التقدم العلمى والتكنيكى فى ظل الرأسمالية . ان زيادة انتاجية العمل ، فى المحل الاول ، فى صناعات النمو ، قد صاحبها استغلال مكثف وامتداد الأزمة السياسية الاجتماعية . وترمى البرجوازية الى القاء عبء التكاليف المترتبة على مشاريع زيادة الكفاءة ، والازمة ، على عاتق الجماهير فى الداخل .

والترشيد على النمط الرأسمالى يعنى تقلصا مطردا فى عدد الوظائف . والتطور الجديد للرأسمالية يتمثل فى انه ، حتى وفقا للمعطيات الرسمية ، تكون البطالة فى طور الانتعاش وحتى فى طور الازدهار أعلى مما كانت عليه فى أدنى درجات الازمة . والبطالة الزمنية ، الناجمة عن زيادة تراكم رأس المال ، ووقف الانتاج ، و « ترشيده » والتغييرات الهيكلية فى الاقتصاد وعملية التقدم نحو الاحتكار ، هي سمة أخرى دائمة للتطور الرأسمالى . ويعنى هذا بالطبع هجوما على حقوق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الأخرى ، وانخفاضاً للاجور الحقيقية وزيادة فى كثافة العمل .

ولدى الرأسمالية وصفة واحدة ، سواء واجهت أزمة دورية أو نزاعا زمنا ، وهي أن تزيد الاستغلال من خلال الترشيح ، وتمارس ضغطا على الاجور ، وتفرض نهبا قاسيا على العمال والموظفين ، وتهاجم مكتسباتهم الاجتماعية ، وتقوم بمحاولات سياسية وأيديولوجية لتحقيق تكاملا نهائيا ، للطبقة العاملة فى اطار النظام القائم . وبالإضافة الى ذلك ، فان الدوائر الاحتكارية اذ تعترف بالحاجة الى التوسع الاقتصادى وتحقيق فعالية اقتصادية عالية ، انما تدفع الدولة البرجوازية الى مشاركة أكثر نشاطا وفعالية فى عملية اعادة الانتاج الرأسمالى ، وخفض المخصصات للحاجات الاجتماعية وزيادة الضرائب . وتسير سياسة الحكومة جنبا الى جنب مع اندفاع رأس المال الاحتكارى لتغيير الميزان بين التراكم والاستهلاك فى الدخل القومى وتعديل هيكل استخدامه على حساب الجماهير .

وفى نفس الوقت ، ماتزال الرأسمالية تواجه مشاكل التضخم الخطيرة وأزمة النقد . وفى المستقبل ، ربما يتذبذب معدل التضخم وحتى ينخفض

مؤقتا ، بيد أن زيادة الاسعار ستظل عاملا دائما في حياة المجتمع الرأسمالى الذى يحدد جوه السياسى والاجتماعى .

ودين الدولة مشكلة ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة التضخم . ان إيرادات حتى أكثر الميزانيات « ثباتا » فى الدول الامبريالية قد نقصت منذ فترة طويلة عن نفقاتها بسبب البنود التقليدية المعروفة مثل اعانات دعم الشركات التى تعمل فى صناعات « غير مربحة » لرأس المال الخاص ، والامتيازات الضرائبية الضخمة للاحتكارات والانفاق العسكرى . ولهذا السبب ، فعل الرغم من الوعود التى تطلقها الحكومات المسؤولة والاحزاب البرجوازية المعارضة عن خفض ديون الدولة فى البلدان الرأسمالية ، قد يتوقع المرء استمرارها فى النمو . والدول الامبريالية تتطلع الى ضرائب أعلى على الجماهير والحد من الحقوق والحريات السياسية الاجتماعية التى تسميتها الجماهير العاملة . وتمويل الدولة يصبح بشكل متزايد أحد المجالات الرئيسية للنزاع السياسى والاجتماعى .

وازمة تقسيم العمل الرأسمالى الدولى لا بد وأن تستمر كعامل يحدد تطور الرأسمالية لبعض الوقت ، بسبب التناقضات الثابتة بين الامبريالية العالية ، ممثلة فى الدول الامبريالية الرئيسية ، التى ترفض أن تسكت على خسارة مواقعها فى العالم الثالث ، واندفاع معظم البلدان النامية لكسب استقلالها السياسى والاقتصادى .

ان التنافس والمنافسة المتصاعدة بين الامبريالية تتجه الى احياء سياسة الحماية لاحتكار الدولة « التى بدت أنها مفارقة تاريخية » . وتستمر الصدمات بين البلدان الرأسمالية فى مجالى التجارة والنقد ، فى غاية الحدة ، مؤدية الى عقد تناقضات جديدة ناجمة عن تزايد النزاع بين الاحتكارات متعددة الجنسية وبين الدول البرجوازية ، والى احتداد الصراع التنافسى بين المعالقة الاحتكاريين ، والصدام بين دوافع الاحتكار الخاص وبين مصالح النظام الاقتصادى الدولى للرأسمالية فى مجموعه .

وأحد أشد النتائج وضوحا لعدم الاستقرار الاقتصادى للرأسمالية هى الازمة المترتبة على ذلك لسيطرتها السياسية والتناقضات المتصاعدة بين السياسة الاقتصادية الاجتماعية للمجتمع الرأسمالى وبين مصالح جماهير الشعب واحتياجات التقدم الاجتماعى . ولقد أثبتت البرامج الاصلاحية الواسعة ، التى روجت لها على نطاق واسع منذ بعض الوقت الحكومات الاشتراكية الديمقراطية والاشتراكية الليبرالية ، التى تود لو « أصلحت الرأسمالية » ، أثبتت عجزها . والاحتكارات تستفيد من الازمة ، لتمارس ضغوطا قويا على الحكومات وتدفعها الى التخلي عن البرامج المطلقة . وضائق القاعدة السياسية للحكومات الاشتراكية الديمقراطية نتيجة لاجراءاتها غير الشعبية . لقد وجدت بعض الاسباب لتحول مواقف بعض أقسام السكان ، بما فى ذلك الجماهير العاملة ، نحو اليمين .

وفى نفس الوقت ، فان الطبقة العاملة ، اذ ترد هجوم الاحتكارات ضد

الحقوق الاجتماعية والديموقراطية للجماهير العاملة ، تقوى من نضالها • وفى الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ ، شارك ١١ر٨ مليون من الجماهير العاملة فى غرب أوروبا فى الاضرابات ، وفى ١٩٧٦ شارك ١٥ر٨ مليون • وكننتيجة لذلك فان سياسة الدولة البرجوازية الاقتصادية والاجتماعية ، كتعبير عن تنظيم احتكار الدولة ، تصبح بشكل متزايد ساحة للنزاع الطبقي • ويتمثل أحد الحلول السياسية الهامة التى تقدمها الجماهير العاملة فى وضع حد للتخفيضات الضخمة التى أعدتها الاحتكارات فى دخول الجماهير العاملة الحقيقية • كما يجب المحافظة كذلك على المكاسب الاجتماعية الأخرى فى الأساس •

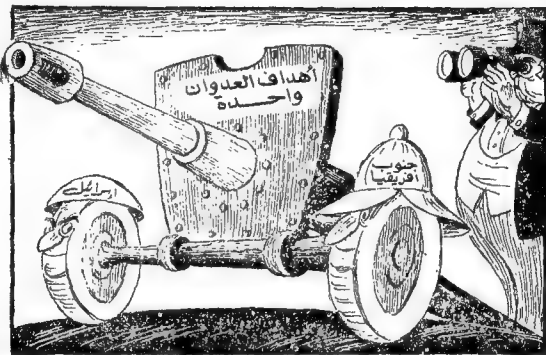
وليس هناك شك فى أن البرجوازية تستمر فى كونها معارض قوى ومجرب للبروليتاريا وكل الجماهير العاملة الأخرى • وفى جهودها لمواجهة الأزمة ، ناورت البرجوازية على الدوام وغيرت تكتيكاتها • بيد أن كل نشاطها قد تركز ، بالطبع ، على الجهود من أجل تعزيز مواقعها والحد من اندفاع الجماهير نحو الاشتراكية •

إن تشابك الأزمة العامة التى تزداد عمقا للرأسمالية مع تطورها الدورى ، الذى يعتبر الآن عاملا دائما ، يدل على أن ظروفنا جديدة قد نشأت لنضال الطبقة العاملة ، وطليعتها وحلفائها • ويبين محتوى ونتائج المعارك الطبقيّة التى دارت فى الفترة الأخيرة • أن الطبقة العاملة تضع فى حسابها بشكل متزايد الظروف الجديدة •

وفى المدى الطويل ، فإن تطور عمليات الأزمة ، فى ارتباطها باستراتيجية رأس المال الاحتكارى المعادية للشعب ، يمكن أن يعرض للخطر مكاسب الجماهير وحقوقها وحرّياتها • ولهذا السبب تولى أهمية كبيرة لنضال الجماهير ، على أن تلعب الطبقة العاملة وطليعتها الدور القيادى ، من أجل إجراء تغييرات جذرية فى العلاقات الاجتماعية •

والاشتراكية القائمة تستمر كاقوى حليف لهم فى هذا النضال • فنفوذها الموضوعى بالمعنى السياسى والاقتصادى والاجتماعى لا حدود له • وميزان القوى الذى تغير لصالح السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعى والاشتراكية يؤثر بشكل نشط على المعركة الطبقيّة فى البلدان الرأسمالية ، ويساعد فى بعض البلدان على توسيع الامكانيات الواقعية لهجوم تقوم به الجماهير العاملة من أجل ردع سلطة رأس المال الاحتكارى فى الاقتصاد والسياسة ، ولكى تجد مخرجا ديموقراطيا من الأزمة •

● كاريكاتير ●



م. ابراموف

تحالف النظم العنصرية

●●●



م. ابراموف

القبلة نظيفة ولن تقتل إلا الادميين

المرحلة الحاسمة للنضال في جنوب أفريقيا

أجرى مندوب المجلة حديثا مع كل من رؤساء منظمات التحرير الوطني لثلاثة بلدان في جنوب القارة الافريقية : أوليفر تامبو من المؤتمر الوطني الافريقي في جنوب افريقيا ، وسام نوبوما من المنظمة الشعبية في جنوب غربي « ناميبيا » ، وجوشوا نكومو من اتحاد شعب ريمبابوي الافريقي الذين تحدثوا عن التغييرات في الاوضاع العامة في بلدانهم منذ صيف ١٩٧٦ والتي تميزت في جنوب افريقيا ، مثلا ، باحداث سوتيو - و اشاروا الى أن نضال شعوبهم قد ارتفع الآن الى درجة جديدة ودخل مرحلة حاسمة . ثم اجاب كل من أوليفر تامبو وسام نوبوما وجوشوا نكومو عن اسئلة مندوبنا .

جنوب أفريقيا بعد سويتو

بقلم: أوليفر تامبو

أصبحت الاحداث في سوتيو وغيرها من مناطق جنوب افريقيا علامة هامة على طريق تطور النضال التحريري . ومن أجل فهم صحيح لاهمية هذه الاحداث ونائيرها على مستقبل حركتنا لابد من النظر فيها باعتبارها ظاهرة من ظواهر المستوى الثوري الجديد الذي ارتقت اليه الآن مواجهة الامبريالية ، ليس في جمهورية جنوب افريقيا وحدها بل وفي افريقيا الجنوبية بكاملها .

كان لانهايار الاستعمار البرتغالي الى جانب النضال المسلح وغير المسلح الذي يقوده المؤتمر الوطني الافريقي اهمية حاسمة بالنسبة للحركة التحريرية في جنوب افريقيا . ونشير بشكل خاص الى استقلال موزمبيق ونشوء دولة وطنية مستقلة على تخوم جنوب افريقيا والى انتصار الحركة الشعبية لتحرير انجولا على قوات الغزاة من جنوب افريقيا . وقد مارس هذا الانتصار تأثيرا تعبويا عظيما على جماهير السكان في جنوب افريقيا . وفي الفترة نفسها ازدادت الطاقة الكفاحية لحركات زيمبابوى وناميبيا التحريرية الوطنية التي تخوض نضالا مسلحا في سبيل الاستقلال ويستند زحفها على قوات سميث وفورستر العنصرية .

ان أحداث سوتيو وغيرها تنسجم مع المرحلة الجديدة التي وصلت اليها حركة التحرر الوطني في افريقيا الجنوبية وتستجيب لمقتضياتها . ويمكن القول أن نضالنا في جنوب افريقيا قد بلغ ، بعد أحداث سوتيو ، مستوى يماثل مستوى النضال في بلدان افريقيا الجنوبية الاخرى التي لم تحقق استقلالها بعد . ونشير بهذا الصدد الى أن عدد المناضلين الذين سقطوا في بلادنا في المارك ضد نظام الحكم خلال الثمانية عشر شهرا التي مضت على احداث سوتيو يساوي تقريبا عدد الانتصار الذين استشهدوا في الفترة نفسها في زيمبابوى وناميبيا .

كان نضالنا يتطور باتجاهين رئيسيين أهمهما هو تعبئة الجماهير من العمال والفلاحين والشباب والاتجاه الثاني هو تشديد الاعمال المسلحة . ففي عام



١٩٧٣ اقترنت النضالات الجماهيرية التي شارك فيها العمال والشباب بعمليات الوحدات العسكرية التابعة للمؤتمر الوطني الافريقي مع التنسيق الواضح لتوقيتها ، الامر الذي يدل من جهة على تأييد الجماهير للنضال المسلح الضروري لاجل تحقيق الانتصار النهائي ، ومن جهة أخرى - على أن منظماتنا السرية تستند الى تأييد جماهير الشعب .

خلال سنوات طوال كان نظام حكم فورستر يحاول أن يعرقل مثل هذا التنسيق ومثل هذا الاتحاد وذلك باللجوء الى مختلف اجراءات القمع ، من الاعتقال لفترات طويلة بدون تحقيق أو محاكمة ، الى الاغتيال والاعدام . وكثيرا ماكان ضحايا هذه العمليات هم الشباب . غير أن اشتداد النضال واتساع مداه تزايد باستمرار . ففي خريف ١٩٧٧ ، أصبح نظام حكم فورستر يواجه ، في غضون بضعة أسابيع ، هجوما شعبيا متعاطيا . ولجأ فورستر ، بعد أن أدرك أن النشاطات الجماهيرية المضادة للحكومة قد تجاوزت نطاق سيطرته الى تشديد عمليات القمع . فقد فرض الحظر على عدد من المنظمات والصحف المعتدلة ، ومنع نشاط بعض الاشخاص السياسيين والاجتماعيين ثم ألقي القبض على نفر منهم . وكان من غير الممكن ألا يدرك أن مثل هذه التصرفات لابد أن تثير استنكار الرأي العام العالمي وأن تؤدي الى تعميق عزلة نظام الحكم وأن تجعل حتى الدول الامبريالية تدبنه ، ادانة شكلية على الاقل .

غير أن تجريد المنظمات السياسية والاجتماعية من الصفة الشرعية لايعني

الا اجبارها على القيام بعمل سرى ولا يترك لها شئ سوى حمل السلاح ضد نظام حكم فورستر. وهكذا يؤدي تشديد القمع الى تشديد النضال مما يمتدحض بدوره عن عمليات جمع اقسى من ذي قبل . وعلى كل حال فاننا نعتبر هذا الوضع عاملا ايجابيا : فقد اصبح العدو فى حالة من الارتباك الملحوظ . وتفتح امكانات جديدة لتشديد النضال على كافة المستويات وفى كافة المجالات . وتنخرط فى النضال اعداد متعاظمه من الناس . ويجرى انعطاف جدى فى مزاج الشعب فى جنوب افريقيا .

ان المؤتمر الوطنى الافريقى مدعو الان الى أن يبذل كل جهوده بهدف تعزيز اندفاع النضال والهجوم على نظام الحكم . وينبغى تنشيط الاعمال المسلحة وتشديد الضربات الى العدو من كل حذب وصوب . ولا يمكننا فى هذا السياق الا أن نود باننا نعلق أهمية عظيمة على التأييد العالمى وبخاصة فى شكله المادى .

ان العدو لم يهزم بعد ، وان كان الموقف موافيا لنا . وفى داخل جنوب افريقيا تبدل جهود مستمرة لتقسيم صفوف القوى المناضلة من أجل تحقيق تغييرات ثورية . ولاول مرة فى تاريخ استغلال السكان الاصليين ، يشجع نظام الحكم تكوين برجوازية سوداء ، سواء فى الارياف حيث انشئ ما يسمى بالباتوستانات (١) أو فى المدن . فما ذلك الا محاولة لخلق وسط « ممتص للصدمات » بغية تخفيف الضربات التى تنزلها الطبقة العاملة بالنظام الرأسمالى فى جنوب أفريقيا .

ومن المعروف أن نظام الباتوستانات يرمى الى تشتيت صفوف الجماهير المستغلة والمضطهدة التى يحصرونها فى كيانات قومية ضعيفة سياسيا . والنتيجة المتوقعة هى أن يغدو استغلال الشعب بأسره على جانب أكبر من السهولة وأن تصبح « الحكومات المستقلة » لباتوستانات منفذة مباشرة له . ويخطط نظام حكم الاقلية البيضاء لانشاء « برلمانات » منفصلة وبالتالي ضعيفة وقاصرة ، لسكان جنوب افريقيا من الاصل الهندى والسكان « الملونين » . وذلك سعيا وراء الاغراض نفسها ، أغراض تشتيت الجماهير المظلومة .

ولتحقيق هذه الخطط يحتاج فورستر الى وقت . ويحتاج حماة الامبريالون كذلك الى وقت كى يتلاصقوا مع التغييرات الناجمة عن الزحف الثورى المتنامى بسرعة فى جنوب افريقيا . وهذه حقيقة أخرى تفسر لماذا يعتبر المؤتمر الوطنى الافريقى تشديد النضال ضرورة مطلقة فى المرحلة الراهنة .

والمؤتمر الوطنى الافريقى على يقين بأن الحركة الثورية فى زيمبابوى وناميبيا ستشدد هجومها على القوى العنصرية مما سيؤدى فى المستقبل القريب الى

(١) مناطق خاصة للقوميات الافريقية بدا نظام حكم فورستر يعلنها « دولا مستقلة » .

انتصار شعوب هذه البلدان نهائيا . وهذا هو عامل آخر يزيد من الثقة بالانتصار الحتمي للنضال التحريري الذي يخوضه شعبنا .

● ألا يمكن أن يؤدي مشروع انشاء « البرلمانات » للهنود و « الملونين » الى تضليل أبناء هذه الحالات ؟

— طبعاً ، انه يوجد خونة كذلك بين المظلومين والمستغلين . طبعاً قد يكون هناك ثمة هنود و « ملونون » ممن سيتعاونون مع العدو لاغراضهم الانانية وسيؤيدون سياسة فورستر الرامية الى تكريس استعباد شعوبهم ، وقد يظن بعضهم : أن شيئاً أحسن من لاشي .

غير أنه حتى ممثلي الهنود و « الملونين » في جنوب أفريقيا ممن يعملون « داخل النظام » — وأنا لا أشير هنا الى المشاركين في الحركة الثورية — لا يمكن أن يكونوا لا مباليين ازاء قضايا شعوبهم وغير شاعرين بالرياح الثورية التي تهب في بلادهم . فقد نبذوا خطة فورستر ، ونوهوا عن حق وصواب بأن من شأن تحقيق هذه الخطة أن يكرس سيطرة الاقلية البيضاء ويزيد السياسة العنصرية قسوة . ذلك أن خطة فورستر تستهدف فصل وعزل الهنود و « الملونين » عن أغلبية سكان البلاد وتسخيرهم بالتالى لخدمة الاقلية البيضاء .

وانى لعل يقين بأن عملاء العنصريين والامبرياليين هم الذين سيوافقون على خطة فورستر ، وليس جماهير السكان . فكل منظمات الهنود و « الملونين » تفضح هذه الخطة ، ولا يناضل ضدها المؤتمر الوطنى الافريقى وحده ، انما يناضل ضدها مثلاً حزب العمال الملونين الذى يمارس عمله قانوناً . ويشترك « الملونون » والهنود في حركة التحرر الوطنى والحركة العمالية في بلادنا . وان معارضتهم للسياسة العنصرية واضحة للعيان اذ أنهم يقفون ضد كل نوع من أنواع تشكيلات « الدولة » العرقية والعنصرية .

● ما رأيكم في ما يسمى بـ « استقلال » البانتوستانات ؟

— ماذا يعنى استقلال « البانتوستانات » ؟ انه يعنى امتيازات للقلة — بيوت فخمة وسيارات فاخرة وغير ذلك . ولكن الجماهير الشعبية لاستفيد شيئاً من مثل هذا الاستقلال . فسكان البانتوستانات عاطلون عن العمل ، لا يستطيعون « باستثناء حالات نادرة » أن يجدوا عملاً في مكان اقامتهم . وهم يضطرون الى الذهاب الى المدن التابعة الى الاقلية البيضاء وهناك أيضاً لا يجدون العمل في حالات كثيرة، واذا وجدوا فيشروط شبه استعبادية. وليست « البانتوستانات » بقدرة على مساعدة سكانها في التغلب على الفقر وفى الحصول على التعليم الخ ... وعلى العكس ، فان سكان البانتوستانات اذ يصبحون شكلياً « مواطنين لدول مستقلة » يفقدون كل الحقوق في جمهورية جنوب افريقيا بما في ذلك حق الجنسية وحرية التنقل وغير ذلك ، ويتعرضون لاشكال جديدة من

الاضطهاد لم يسبق لها مثيل . ويحصرون فى مناطق صغيرة بعد أن استطاعوا فيما مضى أن ينتقلوا على الاقل فى ربوع البلاد كلها فعلى سبيل المثال ، يخضع « مواطنو » ترانسكاى لقيود صارمة خارج حدود ترانسكاى ، أى هى كل الاراضى الاخرى لجمهورية جنوب افريقيا .

وفى الوقت نفسه ، من المهم التنويه بجانب آخر من هذا الوضع . فان سياسة هجرة العمال التى ينتهجها نظام حكم جنوب افريقيا ، معناها أن آلاف من الافارقة يطرد من المدن الى الارياف فى حين أن آلاف أخرى تضطر الى الذهاب الى المدن ، مما يؤدى الى أن تفتنى المناطق الريفية على الدوام بخبرة البروليتاريا النضالية والسياسية . فقد أصبح الافارقة المقيمون فى المناطق الريفية أنصاف بروليتاريين ، وهم يناضلون بنشاط ضد نظام البانتوستانات . وهذا يشكل عاملا هاما من عوامل تطوير النضال الثورى فى بلادنا .

● **يجرى الكثير من الحديث فيما يسمى بالاساط الليبرالية فى جنوب افريقيا عن « المعتدلين » من زعماء السكان السود القادرين ، اذا جاز التعبير ، على أن يساعدوا فى تخفيف التوتر ، أو أن يكونوا بمثابة « صمام الامان » .**

— انهم وسط آخر « متمسك للصدمات » يحاول النظام تكوينه . ولكنهم يظنون انه جاء متأخرا ذلك ان « الزعماء المعتدلين » لن يصمدوا فى وجه رياح الثورة التى لا بد أن تحتاجهم ، وهذا ما يحدث بالفعل . اما من الجهة الاخرى ، فان بعض هؤلاء الزعماء المعتدلين ممن أشاد بهم الليبراليون فى جنوب افريقيا ، هم الذين ألقى القبض عليهم فى خريف ١٩٧٧ لان نظام الحكم لم يعتبرهم قادرين فى الاحوال الراهنة على أن يكونوا معتدلين بما فيه الكفاية .

وعلى وجه العموم ، وقعت الليبرالية فى جنوب افريقيا فى أزمة . فلقد فقدت التفويض الذى كانت قد منحتة لنفسها لكى تنطق بلسان الجماهير المظلومة والمستغلة . وأصبحت الجماهير تعبر عن نفسها بأعمالها وكثيرا ما يكون ثمن ذلك ارواح أبنائها . أما أولئك الساسة الذين يريدون أن يحققوا مطالبهم الوصولية الشخصية عن طريق « تأييد مطالب المظلومين » فقد أصبحوا بلا عمل . ومن هنا يأتى الارتباك فى صفوف « الاصلاحيين » فى جنوب افريقيا وزوال حزب من أحزابهم وانشاء أحزاب جديدة محكوم عليها كذلك بالانشقاق والزوال . ان التناقضات فى صفوف الاستغلايين تتفاقم مع اشتداد نضال الجماهير العاملة فى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى .

● **تكتب صحف الدول الامبريالية كثيرا عن رجال الاعمال فى جنوب افريقيا الذين قد يمارسون ضغطا على الحكومة ، بسبب حاجتهم الى تدفق قوة عاملة جديدة ورغبتهم بالتالى فى تخفيف التفرقة العنصرية بعض الشيء . فماذا يمكن ؟**

— ان رجال الاعمال « الليبراليين » فى جنوب افريقيا يعلقون آمالهم على بعض الإصلاحات الصغيرة التى من شأنها ، لو تحققت أن تساعد على وضع الأمور مئ نصايبها أو ان تخفف من بعض القيود التى تفرضها التفرقة العنصرية . وهم يظنون أن ذلك سيرضى الشعب لدرجة تتيح لجم الثورة . غير أنه لم يعد من الواقعى الآن ان يظن المرء ان نضالات «سوثيو» لم تستهدف الا تحسينات صغيرة وإصلاحات تافهة . لو كان الامر كذلك لانتهى كل شيء فى يوم واحد ، بعد أول إطلاق للرصاص . ولكن الصمود والعناد اللذين أبداهما الشعب يدلان على أنه يناضل فى سبيل تحرير كامل وليس ضد بعض ظواهر التفرقة فحسب ليس من أجل « استغلال مستساغ » ، وإنما ضد كل أنواع استغلال الانسان للانسان .

لقد تجلّى الآن بوضوح أكبر المضمون الاجتماعى لحركة التحرر الوطنى فى جنوب أفريقيا ، لان سياسة نظام الحكم العنصرية تعنى أن أشد الناس تعرضا للاستغلال هم أشدهم تعرضا للاضطهاد القومى ، وهذا ما يحدد المضمون الاجتماعى لنضالنا فى سبيل التحرر الوطنى .

● بعد اغتيال ستيف بىكو (١)، وحظر المنظمات المعتدلة فى جنوب أفريقيا ، أثارت صحف الدول الامبريالية ضجة كبيرة وأدان بعض قادة حكوماتها نظام الحكم . فهل يعنى ذلك تغيراً فى جوهر مواقفهم من فورستر ؟

— ان الوزن المتزايد للرأى العام العالمى التقدمى الذى يعارض العنصرية ويؤيد النضال من أجل التحرر الوطنى ، يؤدى أكثر فأكثر الى عزل الدول الامبريالية التى تساند نظام حكم فورستر . فيتجلى بوضوح متزايد دورها كشرىك فى الجرائم العنصرية بحق شعب جنوب أفريقيا . ويركز الرأى العام العالمى انتقاداته ، أكثر فأكثر ، على هذه الدول باعتبارها القوة التى تقف ، فى نهاية المطاف ، وراء الاعدادات فى سوتيو وغيرها من جرائم نظام حكم فورستر . ولا تريد الجماهير الشعبية فى هذه الدول أن تقف حكوماتها الى جانب أنظمة الاقلية البيضاء .

ولقد أصبحت باطلة حتى الحجج القائلة بضرورة حماية جنوب افريقيا بصفتها قلعة معادية للشيوعية ، وان كان نظام حكم جنوب افريقيا ما يزال يتشبث بها ، لا شيء سوى فقدانه ما هو أفضل منها . لقد كان العنصريون فى جنوب افريقيا يعزفون على وتر معاداة الشيوعية فى غضون ربع قرن ، وهم لا يزالون يؤصلون بياس عزفهم حتى الآن . ولكن ما من أحد ، أبداً ، كان ، يولى ذلك عملياً فى الظروف الراهنة اهتماماً جدياً .

(١) أحد منظمى «حركة الوعى الاسود» التى دعت الى الأساليب السلمية للتغيير الوضع فى البلاد .

ومن جراء كل هذه العوامل ، تضطر حكومات الدول الامبريالية الى تصوير نفسها وكأنها مؤيدة للرأى العام العالمى فيما يتعلق بنظام حكم جنوب أفريقيا . ولذلك كانت تصريحات الاحتجاج والادانة بعد اغتيال ستيف بيكو واجراءاته القمع الأخرى ، تعكس لدرجة معينة مشاعر بسطاء الناس فى تلك البلدان . وهذه المشاعر لا تختلف عن مشاعر الشعوب فى العالم أجمع . وهذا ، دون ريب ، دليل على تزايد القوة والتفوذ لدى القوى التقدمية على المسرح العالمى .

ولكل هذا جانب آخر . فالامبريالية تعجز الان عن تحطيم الثورة بالعنف والقوة كما فعلت فى الماضى . ولكنها تحاول أن تسيطر عليها وتكبتها . واذ ما أخذت الامبريالية تتحدث « بلغة التحرر » فان بعض الناس يرون فى ذلك « تبديلا للرأى » . غير أن الخبرة تدل على أن المرء يمكن أن يهاجم التفرقة العنصرية وينعتها بكونها جريمة بحق الانسانية ، وأن يقدم اليها فى الوقت نفسه مساندة اقتصادية وسياسية . ولذلك فان أصوات الاحتجاج الصاخبة التى نسمعها فى الآونة الاخيرة من بعض الناطقين بلسان حكومات الدول الامبريالية لاتعنى بالضرورة أن هذه الدول كفت عن تأييد نظام الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا .



ناميبيا على عتبة الاستقلال بقام : سام نوبوما

لقد بلغ تطور الاوضاع السياسية فى ناميبيا مرحلة حاسمة . وهذا شيء واضح ، قبل كل شيء ، فى الدساتير والمناورات التى يلجأ اليها نظام الحكم العنصرى الفاشى فى جنوب أفريقيا بتأييد من الدول الامبريالية الرئيسية ، وذلك لانقاذ الوضع . وثمة عامل آخر هو تطور النضال فى زيمبابوى وجنوب افريقيا . ذلك أن المعركة من أجل تحرير ناميبيا لايمكن عزلها عن النضال التحريرى الذى يخوضه اخواننا واخواتنا فى سائر بلدان جنوب القارة . أما أنظمة الحكم العنصرية فهى بدورها تساند بعضها البعض على الدوام . ففى زيمبابوى مثلا لم يستطع نظام حكم سميث ان يصمد فى وجه الشعب كل هذه المدة الطويلة الا بفضل المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية المستمرة التى قدمتها اليه جمهورية جنوب أفريقيا .

وتؤيد الدول الامبريالية مناورات نظام حكم فورستر ودساتيسه انطلاقا من مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية الانانية . فان لناميبيا ساحلا يمتد حوالى ألف ميل ، وهو ذو أهمية استراتيجية ومياه غنية بالاسماك اما مناطق البلاد الداخلية فانها غنية بالماس واليورانيوم ومعادن أخرى . وتستثمرها كلها

شركات فوق قومية « متعددة الجنسية » تابعة للدول الامبريالية . وهي تقدم لهذا السبب مساعداتها الى نظام حكم فورستر بما فى ذلك الاسلحة والذخائر . ففرنسا ، مثلا ، هي أهم مصدر للأسلحة الى جنوب أفريقيا ، وقد زودت فورستر بميليكوبترات من مختلف الأنواع وطائرات « ميراج » المطاردة وغواصات . وتتوسط سائر الدول الامبريالية بدور مماثل .

وتزعم الدول الامبريالية التى تقدم الاسلحة الى نظام حكم فورستر بانها تعمل ذلك كى تتمكن جنوب افريقيا من الذود عن نفسها ضد هجوم خارجى . ولكن خبرتنا فى ناميبيا تشهد على أن الهيليكوبترات والطائرات المطاردة التى حصل عليها نظام حكم فورستر لاستخدام للدفاع ضد هجوم خارجى خرافى ، وانما تستخدم ضد جيش التحرير الشعبى الناميبى الذى هو جناح عسكرى للمنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيا ، أو بعبارة أخرى تستخدم فى قمع حركة الشعب بأسره التى تطالب باستقلال بلادنا وبحقها فى تقرير مصيرها بنفسها .

وفى هذه الساعة العسيرة لاترى المنظمة الشعبية لجنوبى غرب أفريقيا بدىلا سوى تشديد النضال . فعند مواجهة نظام حكم فاشى مثل نظام حكم فورستر لابد من استخدام قوة السلاح ، وهذا هو الطريق الوحيد والاكيد للقضاء على احتلال بلادنا غير المشروع .

ان النضال التحريرى فى جزء القارة الافريقية الجنوبى تكمل منذ مدة غير بعيدة بانتصارات احزمتها شعوب أنجولا وموزمبيق ، وغيرت هذه الانتصارات الوضع الجغرافى السياسى فى منطقتنا وخلقت طروفا ملائمة للامال التحريرية فى البلدان التى مازالت ترزح تحت نير أنظمة الحكم العنصرية . ولا شك فى أن النضال الناجح ضد الاستعمار والفاشية والعنصرية يتطلب ، قبل كل شىء ، تحطيم العمود الفقرى لقوتها الرئيسية ، المتمثلة فى نظام حكم فورستر . عندما كانت أنجولا وموزمبيق تحت سيطرة الاستعمار البرتغالى وضعها نظام حكم كاتيانو تحت تصرف جنوب افريقيا لمكافحة حركات التحرر فى بلدان افريقيا الجنوبية الاخرى . وكان يبدو آنذاك ان جنوب افريقيا اكبر قوة فى القارة لا يستطيع أن يتحداها أحد . ولكن جوهر الامر يكمن فى ان جنوب افريقيا استخدمت هذين الاقليمين كوسط ممتص للصدمات يحميها من موجة النضال التحريرى . أما الان فقد وصلت هذه الموجة الى حدود جنوب افريقيا بالذات وأدى هذا ايضا الى تغيير الوضع فى ناميبيا وزيمبابوى على السواء . اذ يحرز الانتصار الابطال من المنظمة الشعبية لجنوبى غرب افريقيا فى كل يوم انتصارات على العدو . ويشدد اخواننا فى زيمبابوى هم ايضا من نضالهم . ومن جراء ذلك يزداد نظام حكم فورستر ارهابية مدفوعا باليأس والخوف . وهو يدرك أن خطر القضاء عليه اصبح يحدق به حقا وفعلا .

وفى ناميبيا ايضا يشدد نظام حكم فورستر اعمال القمع . فتحت تهديد

البنادق يجرى نقل الاف البشر من قراهم ، وبخاصة تلك القرى التى تقع على طول حدود انجولا ، الى ما يسمى بالقرى المحصنة (وما هي فى الواقع سوى معتقلات) . وفى ناميبيا ماتزال الحالة الاستثنائية والاحكام العرفية سارية المفعول وبموجب هذه القوانين يحق حتى للمجندين الجدد من ابناء جنوب افريقيا أن يطلقوا النيران وأن يقتلوا كل من يظنونهم « ارهابيا » أو أنه يستتر على مكان وجود الارهابيين .

غير انه قد اصبحت فى مقدورنا الان ازال ضربات جوابية . فان انصار المنظمة الشعبية لجنوبي غرب افريقيا يعملون فى ثلاث مناطق لنايبيا هي المنطقة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية وينقلون عملياتهم الى المنطقتين الوسطى والجنوبية . كما جرت مهاجمة العنصرين فى فيندهوك ، عاصمة البلاد وفى ضواحيها وفى غيرها من المدن الكبيرة امثال جروتفونتاین وتسويمب وغيرها .

ان حزبنا - المنظمة الشعبية لجنوبي غرب افريقيا - يتمتع بشعبية فى كافة انحاء البلاد . لكنه لابد من الاعتراف طبعا ، بأن بعض العناصر وخصوصا قادة القبائل قد ضلوا أو رشاهم نظام حكم جنوب افريقيا العنصرى . فقد اجبروا على المشاركة فى المؤتمر الدستورى سبب الصيت فى فيندهوك . بيد ان كثيرا من الضالين كفوا عن مؤازرتهم لهذا المؤتمر وانضموا الى المنظمة الشعبية لجنوبي غرب افريقيا ، لانهم اخذوا يدركون أنه لا يوجد فى ناميبيا سوى قوتين متصارعتين هما المنظمة الشعبية لجنوبي غرب افريقيا وجيش التحرير الشعبى الناميبى المناضل تحت قيادتها فى سبيل استقلال البلاد الوطنى وتصفية استعمار جنوب افريقيا من جهة ، أما من الجهة الاخرى - فنظام حكم جنوب افريقيا العنصرى الذى يعمل للابقاء على سيطرته الاستعمارية وتكريس اضطهاد شعب ناميبيا واستقلاله .

ولذلك فاننا نلح على يقين بأننا سنحرز فى أقرب وقت انتصارا حاسما وذلك بنأييد البلدان الاشتراكية بالدرجة الرئيسية ، وكذلك البلدان الافريقية والاطلسات التقدمية فى العالم اجمع .

● ولكن نظام حكم فورستر يزعم بأن النضال المسلح الذى

تخوضه المنظمة الشعبية لجنوبي غرب افريقيا فى ناميبيا ينحصر

فى المنطقة الصغيرة المسماة قطاع كابريفى . .

- صحيح اننا منذ ١٩٦٦ عندما بدأنا النضال المسلح ، ركزنا اعمالنا فى قطاع «كابريفى» المتاخم لزامبيا التى كانت آنذاك الدولة الافريقية المستقلة الوحيدة التى تجاور ناميبيا . ولهذا فإن جنوب افريقيا احتفظت بقوات مسلحة كبيرة فى قطاع كابريفى . وكنا على أية حال ، نستخدمها للتسلل الى ناميبيا وتموين قواتنا العاملة هناك . ذلك أن أنجولا المجاورة كانت وقتئذ تحت سيطرة الاستعمار البرتغالى الذى تحالف مع نظام حكم جنوب افريقيا وحظى بمساندته

ولم يكن الوضع سهلا بالرغم من أننا كنا قد تعاوننا في الماضي مع الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا واستخدمنا للدرجة معينة قواعدها ومواقفها في أنجولا .
أما الآن ، بعد أن حققت أنجولا استقلالها فقد غدا بوسعنا أن نعمل في عمق ناميبيا ونحرز نجاحات .

وينمو كذلك وعي شعب ناميبيا السياسي وينخرط الشباب والطلاب والعمال والفلاحين في صفوف جيش التحرير الشعبي . وإذا كانت وحداتنا في عام ١٩٦٦ عندما بدأنا النضال المسلح ، ليست سوى فصائل فقد أصبحت الآن كتائب . وازدادت القدرة القتالية لجيشنا وأصبح من الصعب على العنصرين أن يقاومونا . وهذا ما يمكن أن نقرأ عنه حتى على صفحات جرائد الحكومة الرسمية . فقد نشرت صحيفة «فيندهوك أدفرتايرز» حديثا لضابط من جيش جنوب افريقيا كان يخدم في قاعدة كانتيماموري في الجزء الشرقي من قطاع كابريفي . فقد تعرضت تلك القاعدة البرية والجوية الكبيرة لجيش جنوب افريقيا ، لهجوم شنته وحدات جيش التحرير الشعبي الناميبى التي استخدمت مدفعية حديثة ومدافع بازوكا .

إننا نألمون كل ألزم على مواصلة نضالنا المسلح حتى نظهر بلادنا نهائيا من قوى الفاشية والظلم والراسمالية . ونعتقد أن هذا هو الطريق الثوري الوحيد الذى سيؤدى الى تشكيل حكومة ثورية في ناميبيا تقوم على الاشتراكية العلمية .

● ما الذى نقولونه عن محادثات سفراء الدول الاستعمارية الخمس مع فورستر بشأن حل سلمى لقضية ناميبيا ؟

— فى أواخر الخمسينات ، عندما جرى تشكيل المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا أخذنا ننظم اضرابات ومظاهرات وأعمال مقاطعة وغير ذلك . وجاؤنا أن نناشد بالتفكير السليم لدى ظالمينا من جنوب افريقيا فى محاولة لنقل السلطة سلميا الى شعبنا . ولكن جهودنا السلمية كانت عديمة الجدوى ، بل ووجهت بقوة السلاح . فقد نظمنا مثلا ، فى عام ١٩٥٩ ، حملة المقاطعة والاضرابات احتجاجا على نقل الافارقة بالقوة من ضاحية قديمة من ضواحي «فيندهوك» الى بلدة جديدة بنيت استنادا للسياسة التفارقة العنصرية ، وتفصلها عن مساكن البيض منطقة عازلة تتراوح ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ ياردة . لقد نظمنا مظاهرة سلمية ، ولكن شرطة جنوب افريقيا استخدمت الدبابات ضد المتظاهرين وأطلقت عليهم النار وقتلت اثني عشر شخصا وجرحت كثيرين . وليس هذا هو المثال الوحيد ولذلك اضطرت المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا الى انشاء منظمة عسكرية بغية تحرير البلاد اذا لم يكن ثمة أمل بحل القضية عن طريق المفاوضات .

والان يدرك الامبرياليون وفورستر أن الشعوب الافريقية وخصوصا شعب ناميبيا مصممة كل التصميم على خوض النضال حتى النصر النهائى . ولذلك تحاول الدول الامبريالية اشاعة البلبلة بين الناس زاعمة انها تؤثر المفاوضات

السلمية لأنها لا تريد سفك الدماء العنصرى فى افريقيا الجنوبية بما فى ذلك
ناميبيا . ولكن مما له دلالة ان هذه الدول تحول فى الوقت نفسه دون
ان يوقع مجلس الامن عقوبات اقتصادية بحق جنوب افريقيا .

فاية وسائل سلمية لحل المعضلة يمكن أن تكون فى هذه الظروف ؟ صحيح
أن الوسائل السلمية موجودة فقد نص عليها ميثاق الامم المتحدة وذلك فى
فصله السابع وخصوصا فى البنود ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ من هذا الفصل . بيد أن
الدول الامبريالية ذاتها احبطت الامكانات التى توفرها هذه البنود .

وفى رأينا أن الاعمال الدبلوماسية والسياسية ليست سوى أعمال اضافية
وتكميلية للعمليات العسكرية ، وأن الشكل الاساسى للنضال من أجل تحرير
ناميبيا يجب أن يكون النضال المسلح ، وستستمر فى الوقت نفسه ، عندما
يكون ذلك ممكنا ، فى مختلف اشكال النضال الدبلوماسى والسياسى ، ولهذا
السبب بالذات وافقت المنظمة الشعبية لجنوبى غربى افريقيا على أن تجرى
الدول الامبريالية الرئيسية محادثات بغية البحث عن حل سلمى لقضية ناميبيا
ونحن ايضا نؤيد الحل السلمى . ولكننا نعتقد تحقيقا لذلك أنه من الضرورى
قبل كل شيء أن تنسحب من ناميبيا كل قوات الاحتلال التابعة لجنوب افريقيا .

وستواصل حتى ذلك الحين النضال المسلح - الى جانب النضال السياسى
والدبلوماسى - فى سبيل عزل نظام حكم جنوب افريقيا العنصرى وتحرير
بلادنا .

وما من شك فى أن الاعمال الدبلوماسية والسياسية ضرورية أيضا . فمثلا ،
لا يجوز لنظام حكم جنوب افريقيا أن يشترك فى عمل الجمعية العامة للأمم
المتحدة لأن اللجنة المعنية لم تعترف بصلاحيته . أما المنظمة الشعبية لجنوب
غربى افريقيا فلها صفة مراقب فى الجلسات الكاملة للجمعية العامة . وهذا
يعنى أن تتمكن من الحديث فيها وعرض وجهة نظر شعب ناميبيا المضطهد
على الرأى العام العالمى .

وكل هذا مهم بالطبع . ولكن النضال المسلح مايزال هو الشيء الرئيسى .
ونحن عازمون تماما على تذليل الصعوبات وتقديم تضحيات اكبر فى سبيل
تصفية سيطرة جنوب افريقيا الاستعمارية على بلادنا وتحقيق استقلالها الحقيقى
فى ظل الديموقراطية .

● ولكن الصحف الامبريالية تزعم بأن الخطة التى اقراها
المؤتمر الدستورى فى فيندهوك والتي رفضتها المنظمة الشعبية
لجنوب غربى افريقيا رفضا قاطعا ، قد تعرضت لتعديلات
ايجابية بفضل جهود سفراء الدول الامبريالية آفئة الذكر .

- اظن ان تخلى فورستر عن فكرة الحكومة الانتقالية التى اراد أن يفرضها
على شعبنا بواسطة المؤتمر الدستورى ليس نتيجة جهود سسفراء الدول
الامبريالية . ذلك أن فورستر اضطر الى التخلي عن هذه الخطة من جراء اشتداد
٥٩

النضال التحررى وبسبب المعارضة الثابتة لهذه الخطة داخل البلاد والتي تصدرها مؤيدو المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا وكان المؤتمر بحد ذاته أبعد من أن يحظى بالشعبية فى البلاد ، فحتى زعماء القبائل الذين اشتركوا فيه خافوا من أن شعبهم سيقضى عليهم • وهم الآن تحت حماية الشرطة وجيش جنوب افريقيا •

وهكذا ، فإن الفضل فى التخلي عن الخطط غير المقبولة لدينا ، يعود الى شعب ناميبيا وإلى الضمانات التى قدمها • وسيواصل شعب ناميبيا نضاله بقيادة المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا حتى يحصل على حق تصريف شئونهم بنفسه • ونحن فى هذا المجال نحظى بتأييد البشرية جمعاء •

● ماذا تقولون عن الانشقاق فى الجماعة البيضاء وبوجه خاص عن انفصال الجناح الليبرالى برئاسة ديرك ماج ؟

— ولكن ماج ليس ليبراليا مطلقا • فقد كان نائبا لمدير ناميبيا من جنوب افريقيا ، أى أنه كان يمثل الة القمع الفورسترية ، ولكنه لم يستطع تحقيق النتائج التى أراد أن يهديها الى فورستر — فلقد أجهضت محاولاته كلها نتيجة النضال الذى تصدره المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا • ولذلك فقد ماج شعبيته بين البيض وابعده من قيادة حزب فورستر القومى الشوفينى الحاكم • ومن ثم قام بتشكيل ما يسمى بالحزب الجمهورى الذى يتلخص هدفه فى استمالة بعض البيض والأفارقة الرجعيين وخصوصا بعض زعماء القبائل الذين شاركوا فى المؤتمر الدستورى من أمثال كليمنز كاييو وكورنيلوس نديجوبا وغيرهم من الرجعيين • ويريد ماج أن يوحدهم فى نضال مشترك ضد المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا • ولكنه لا يجد من يؤيده من أبناء الشعب المضطهد • وهكذا فإن حزبه لا يكاد يمثل احدا ، وطبيعى انه سيمضى بهزيمة فادحة فى أية انتخابات ديموقراطية حقا •

● كثيرا ما تقول الصحف الامبريالية أن المنظمة الشعبية

لجنوب غربى افريقيا لن تنتصر فى الانتخابات العسرة ، اذا أجريت فى ناميبيا ، الا فى منطقة أوفامبولاند الشمالية ، فما هو رأيكم فى ذلك ؟

— لا يتضمن هذا الزعم أية كلمة صحيحة • فالجميع يعرفون الآن أن المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا تشرف على جنوب ناميبيا كله •

كان من الطبيعى أن نركز جهودنا فى لحظة معينة من الزمن ، وفى المنطقة الشمالية المتاخمة لانتجولا ، وكان من الضرورى تعبئة الجماهير • اذ كان من المحتمل أن يحاول نظام حكم جنوب افريقيا انشاء بانتوستان هناك من طراز ترانسكاى لان فورستر اختار المنطقة الشمالية لتكون بمثابة معرض غايته اقناع الامم المتحدة بأن فكرة البانتوستان يمكن تحقيقها فى ناميبيا أيضا •

ولذلك فقد جعلنا من جزء البلاد الشمالى حلبة اساسية لمكافحة الخطط
الخبثية الهادفة الى تجزئة البلاد على اساس المبدأ العرفى . وكان من نتيجة
نضالنا أن رفض الشعب أول وزير رئيس عينه فورستر ليدير أوفامبولاند ،
وفى نهاية المطاف صفى ، وذلك لانه كان فى نظر الشعب ممثلا لالة القمع
الفورسترية . وليس من قبيل المصادفات أن الحالة الاستثنائية والاحكام
العرفية طبقت أول ما طبقت فى اوفامبولاند بالذات ولكنها لم تجد نفعا كذلك .

وتتمتع الان المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا بتأييد الشعب بأسره فى
ناميبيا بكاملها . وهذا ما يعرفه الجميع كما يعرف الجميع أيضا أن النضال
بقيادة المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا هو وحده القادر على تحقيق حرية
ناميبيا واستقلالها الحقيقى .

● بماذا تعلقون على رغبة جنوب أفريقيا فى الاحتفاظ بميناء ولفيس باى ؟

— ان المنظمة الشعبية لجنوب غربى ناميبيا تعتبر ولفيس باى جزءا لا يتجزأ
من ناميبيا وقد كان فى سنوات الغزو الاستعمارى جببا بريطانيا فى افريقيا
الجنوبية الغربية التى استولت عليها المانيا . ولكننا لا نعترف ولكن نعترف
بالاستعمار سواء كان المانيا ام بريطانيا ام بويريا وانما نناضل للتخلص من كل
مظاهره ومخلفاته فى اراضينا كافة . ان فورستر حر فى أن يخدع نفسه ونظام
حكم الاقلية البيضاء الفاشى بزعمه أن ناميبيا ستظل معلقة على كلابه بسبب
ولفيس باى . أما نحن فسنواصل النضال حتى نهايته الظاهرة أى حتى تحرير
آخر شبر من ارض ناميبيا .

● كيف ترون مستقبل ناميبيا ؟

— مهمتنا الاساسية هى الان ازالة سيطرة جنوب افريقيا
الاستعمارية عن بلادنا وتحقيق استقلالها الوطنى ، وهى مهمة
تحتل الاولوية . وستتم بعد تنفيذها اعادة تنظيم البلاد اجتماعيا
واقتصاديا حتى تصان موارد ناميبيا وتستخدم لما فيه خير الشعب بأسره .
وننوى وضع حد نهائى لاستغلال الاحتكارات الأجنبية الاقتصادية لبلادنا
ولاستغلال الانسان للانسان . كما ننوى تصفية سيطرة الشركات
القومية « متعددة الجنسية » التابعة للدول الامبريالية التى تستنزف
الان دماء الشعب الناميبى . ونحن نناضل من أجل تشكيل حكومة
شعبية تستخدم جميع سكان ناميبيا بغض النظر عن اللون والعرق
والاصل .

● ما هو تعريفكم للصلة بين حركة التحرر الوطنى والحركة من أجل التحرر الاجتماعى ؟

— ان الرغبة فى تحقيق العدالة الاجتماعية هى اساس النضال فى

مسيل الانعتاق من السيطرة الاجنبية . ومعنى ذلك ان الشعب هو الذى يجب ان يسيطر على وسائل الانتاج من خلال ميكانيزم الدولة ونحن ننوى اقامة نظام العدالة الاجتماعية على اساس الاشتراكية العلمية . وهذا هو الطريق الوحيد الذى يضمن ، فى رأينا ، تحقيق تحولات اجتماعية تعود بالخير على شعبنا . واعتقد أن هذا يصلح كذلك على جميع البلدان التى تحررت من السيطرة الاستعمارية .

ان الرأسمالية اشبه بورم خبيث لايرجى شفاؤه . واذا ما اتبهيح لها ان تركز نفسها فى ناميبيا ، فلن يتخلص شعبنا ابدا من الشقاء ومن الاستغلال الذى يفرضه عليه الاجانب الذين يظلمونه ويحرمونه من اسسط حقوق الانسان . وفيما اذا لم ترفض الرأسمالية فلا بد ان يبقى شعب ناميبيا عبدا لراس المال الاجنبى .

● ما راىكم بشأن المكانة التى ستشغلها ناميبيا المستقلة فى

الجهة العالمية المعادية للامبريالية ؟

— ان المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا هى الطليعة القيادية لنضال التحرر الوطنى الذى يخوضه شعب ناميبيا وجزء لا يتجزأ من انقوى المعادية للامبريالية فى العالم كله . ونحن نؤيد كل من يناضل على كوكبنا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية والفاشية .

وسينضم بلدنا الى منظمة الوحدة الافريقية وهذا طبيعى اذ أننا نؤيد ميثاقها ونؤمن بأن افريقيا لن تستطيع ان تتخلص من المؤامرات الاستعمارية الا اذا كانت موحدة ومتحررة سياسيا ومستقلة اقتصاديا . ولا يمكن أن تكون افريقيا قوية اذا كانت مجزأة كما هو الحال اليوم ، مع الاسف .

ان ناميبيا جزء صغير من افريقيا . ولكن اذا ما عزلت نفسها بعسد الاستقلال عن البلدان الاخرى فسيضعها الامبراليون تحت سيطرتهم باللجوء الى أساليب الارغام والخنق الاقتصادية وسيواصلون استغلالها كما يستغلون بعض البلدان الافريقية المستقلة شكليا التى تخضع تماما لنفوذ الامبرياليين .

وسيكون بلدنا عضوا فى منظمة الامم المتحدة كي يسهم بقسطه المتواضع فى تقدم البشرية ، ان منظمة الامم المتحدة تلعب دورا هاما فى مكافحة الاستعمار والاستغلال وستواصل الدول المتعلمية الاعضاء فى منظمة الامم المتحدة فضح الاستغلال الامبريالى للبلدان الاخرى . وهذا مهم للغاية .

وسنشارك طبعاً في حركة عدم الانحياز التي هي حركة ذات مكانة مالية جدا والتي تسعد البلدان المتحررة على مقاومة الاستغلال الاستعماري والاستعماري الجديد .

وهكذا ستكون ناميبيا جزء لا يتجزء من الجبهة العالمية الواسعة المعادية للامبريالية .

● ماريكم في أهمية التضامن الاممسي مع نضالكم الذي

تبديه القوى التقدمية في العالم ؟

ـ اننا لم نستطع أن نطور نضالنا المسلح لولا المساعدة المادية العملية للموسسة التي تأتي الى شعبنا عن طريق المنظمة الشعبية لجنوب غربي افريقيا . وما اقصدته بالدرجة الاولى تقديم الاسلحة التي يستحيل دونها شن الحرب التحريرية . ونحن نشعر بالامتنان لاصدقائنا ، وقبل كل شيء ، للاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان الاشتراكية ، ولنظمة الوحدة الافريقية والمنظمات الديموقراطية الوطنية والعالمية في البلدان الرأسمالية كما نشكر بعض حكوماتها . مثل الحكومتين السويدية والنرويجية ، التي تمدنا بالادوية والمواد الغذائية والملابس والخ ..

ونحن نشعر اننا لسنا وحدنا ، وان قوى جبارة تشهد أزرنا ، وفي طبيعتها البلدان الاشتراكية . ويبحث كل ذلك الثقة في قلوبنا باننا سنحرز انتصارا حاسما على العدو في وقت قريب للغاية . ونحن مستعدون لدينا دولة تقدمية تشكل جزءا لا يتجزأ من البشرية التقدمية .

●●●

زيمبابوي في مواجهة التحدي

بقلم: جوشوانكومو

ان النضال التحريري في زيمبابوي يمر بمرحلة متوترة للغاية . ذلك انه عندما كان يتعقد مؤتمر جنيف الذي فشل فيما بعد ، قلنا بكل وضوح انه اذا كان المؤتمر سيفشل فذلك يعني خوض الحرب حتى

النهاية . وهذا موقف طبيعي ينبج من مجمل تاريخ النضال التحريري في بلادنا .

وكلما حاولنا اجراء محادثات مع المستعمرين قامت الاقلية البيضاء بخطوات لتعزير موقفها تدريجيا في روديسيا الجنوبية . وقد حدث هذا حتى قبل ان يعلن سميت « الاستقلال » من طرف واحد ، اى في سنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٥ ، ثم في الخمسينات ، وخصوصا في اوائل الستينات ، عندما حظروا حزبنا واخذوا يعتقلون قادته ، وتوالت علينا ان تقضى سنوات طويلة في السجون . وفي تلك الحقبة شدد سميت اغتصابه للسلطة في البلاد اصلحة الاقلية البيضاء واعطى « الاستقلال ».

وبعد اطلاق سراحنا عام ١٩٧٤ حاولنا من جديد ان نجري مفاوضات ، وقد اقدمنا على ذلك حتى بعد ان عذبنا سميت خلال « سنة » ، وابدينا استعدادنا للتفاوض لان اخواننا في دول المواجهة كانوا يعتقدون ان سميت ، بعد عشر سنوات من الحرب ، اصبح مستعدا لاجراء المحادثات . لقد حاولنا التفاوض بحضور فورستر ، في قطار يقف على جسر نهر الزامبيزي ، ثم في سالسبيرى واخيرا في جنيف بحضور البريطانيين . ولكنه تبين ان امبريالية الولايات المتحدة كانت وراء تلك المحادثات ، كان وراءها كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك ، والذي اراد ان ينقذ سميت وان يجعلنا نساعد سميت في الحصول على الاعتراف باستقلاله الذى اعلنه من جانب واحد .

اما البريطانيون فقد يدوا عند افتتاح مؤتمر جنيف وكانهم يتحدثون باللغة التي كنا نتحدث بها ولكنه تبين فيما بعد ان البريطانيين يحاولون ارغامنا على اقتسام السلطة مع سميت . ولذلك اصبح فشل المؤتمر امرا حتميا . وصرحنا آنذاك ان هذا سيؤدى الى خوض النضال حتى النصر النهائي . وهكذا اقتضى الامر تشديد العمليات المسلحة قبل غيرها ، وهذا ما نقوم به منذ يناير ١٩٧٧ .

ودعونا شباب بلادنا ، الى المشاركة في النضال المسلح وقد استجابوا لدعوتنا ، وهم يتوافدون الى صفوفنا بالعداد متزايدة .

ودعونا اصدقاءنا في العالم الى التعاون معنا والى تزويدنا بالسلاح واستجابت لدعوتنا كالعادة البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتى .

اما فيما يخص الدول الامبريالية فما زالت تساعد سميت ، وتظاهرو

بالضيق عندما تقول لها هذه الحقيقة التي يعرفها الجميع . ذلك ان المؤسسات المالية الغربية ، من مصارف وشركات تأمين ، تتعاون على نطاق واسع مع فاشي جنوت افريقيا وتساعد ، بالتالى ، فاشي روديسيا الجنوبية ومن المعروف ايضا انه توجد اتفاقيات سرية بين شركات بترول غربية ونظامى حكم سميث وفورستر يستمر بموجبها تدفق البترول الى نظام حكم سميث عن طريق جنوب افريقيا وذلك بالرغم من العقوبات الاقتصادية التي اوقعتها الامم المتحدة بحق روديسيا . وان حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا تفضل التعامى عن الحقائق التي تدل على ان شركات هذه البلدان تصدر البترول الى سميث . وبالرغم من بيانات الامم المتحدة بتأييد حركة التحرر الوطنى ما زالت الدول الامبريالية تمتد ازر سميث فى الحرب المحتومة بينه وبين شعبنا .

ولذلك فمن الواضح اننا نناضل ليس ضد سميث الصغير فنحسب ، بل ضد مصالح الدول الامبريالية الجبارة .

ولا يستطيع الامبرياليون البريطانيون ، نظرا لتطور الموقف الحربى فى الوقت الحالى ، ان يقفوا موقف المتفرج ، لانه يدركون ان نوايا جديدة وان ٧٥٪ من اراضي روديسيا قد تحولت الى ما تسميه اللغة العسكرية بـ «مناطق العمليات» ، حيث تدور رحى الحرب ليل نهار . وهذه المناطق لاتضم الا ارياف وحدها بل وكذلك سالكسبرى وبولا فاو وغيرهما من اكبر مدن البلاد .

ويشعر الامبرياليون البريطانيون بأنه لا بد لهم من ان يتدخلوا ، اذ يخافون من أن يتغير الوضع لصالحنا تماما . وهم يدركون انه اذا خضنا النضال حتى نهايته فنسقيم حكومة لشعب زيمبابوى ، الامر الذى لايريدونه . ولذلك تعلن الحكومة البريطانية الان انها مستعدة لاعطاء زيمبابوى حكومة مستقلة منتجة على اساس مبدأ « صوت واحد للشخص الواحد » فى انتخابات ديموقراطية بعد مرحلة انتقالية تدوم ستة اشهر . ولكنه ، اذا معنا النظر فى اقتراحاتهم تبين انهم يريدون بكل بساطة « اختطاف » استقلالنا لانهم يعون أننا على عتبة انتزاعه . وفى دورهم لو وافقنا على المرحلة الانتقالية التي من شأنها ان تمنح بريطانيا سلطة مطلقة فى البلاد لمدة ستة اشهر . ولكن يكفيكم ان تمنحوا الامبرياليين ست دقائق حتى « يختطفوا » منكم كل ما اكتسبتموه . واذا اعطيتوهم ستة اشهر ، فيمكنكم ان تكونوا على يقين انكم منحتوهم مدة كافية لتهيئة نتائج أية « انتخابات ديموقراطية » تجرى بعد هذه الاشهر الستة ، حتى تكون لصالحهم .

ان بريطانيا مستعدة الان - ولا شك في ذلك أبدا - لانشاء « حكومة
سوداء » فى روديسيا ، ولكن ليس لحكومة شعبيه وانما مجرد حكومة
سوداء !

ان الامبرياليين يفهمون انه من غير الممكن الاحتفاظ بحكومة بيضاء فى
بلد تبلغ نسبة السكان السود فيه قرابة ٩٧٪ . وما يريده الامبرياليون
هو انشاء حكومه سوداء تستجيب لفكرتهم عن نموذج الحكومة الاستعمارية
الجديدة .

منيت الدول الامبريالية فى السنوات الاخيرة بعدد من الهزائم منها
هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام وانهيار الامبراطورية الاستعمارية
البرتغالية التى كانت حلقة هامة فى نظام استغلال شعوب جنوب القارة
الافريقية . واصبحت الدول الامبريالية تشعر بانها غير حصينة فى
افريقيا . ولذلك اخذت تعيد ترتيب القوى وتحال شن هجوم معاكس بغية
اخذ الثأر عن الجولة التى خسروها . وتتنو هذه الدول تشكيل حكومتين
من السود فى زيمبابوى وناميبيا على ان تكونا حكومتين من الطراز
الامبريالى والاستعماري الجديد . واذا نجحت فى تشكيل مثل هاتين
الحكومتين ستشعر بانها اصبحت قوة فعلية فى جنوب القارة الافريقية
وستشن انطلاقا من راس الجسر هذا حربا انتقامية فى انجولا وموزمبيق
وزامبيا وبوتسوانا ، اى ضد كل البلدان الجاورة لـ « قلعة » جنوب
افريقيا .

ان القضية التى تواجهنا هى ان الحرب التى تبدو ، ظاهريا ، حربا محلية ،
هى فى حقيقة الامر حرب دولية حيث يحظى عدونا بتأييد اكبر الدول
الامبريالية .

● نشر الصحف الامبريالية اشاعات بشأن حدوث
انشقاق داخل جبهة زيمبابوى الوطنية ، بين اتحاد شعب
زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى وبين
تكونهم ومواجهه . فما هو تعليقكم على هذه الاشاعات ؟

- ان الصحف ومحطة الاذاعة البريطانية هما اللتان تصدران هذه
الحملة الاستفزازية التى تشنها الصحافة الامبريالية . ففى نظرها لن

توجد أية جبهة وطنية . وقد كانت في نظرها منشقة حتى قبل شروعا بالعمل لتوحيد اتحاد شعب زيمبابوي الافريقي واتحاد زيمبابوي الوطني الافريقي . ذلك ان هذا التوحيد كارثة بالنسبة للامبرياليين اذ يعني خيبة آمالهم بعد ان كانوا دائما يستغلون الاختلافات في صفوف شعب زيمبابوي ولما رأوا الوحدة تتبدى في الافق ، أخذوا يثيرون الضجيج حول الانشقاق وذلك قبل توقيعنا على وثيقة الاتفاق .

ويمكنني ان اؤكد لكم ان اتحاد شعب زيمبابوي الافريقي واتحاد زيمبابوي الوطني الافريقي قد اتفقا على العمل المشترك في اطار التحالف بين المنظمتين بغية توحيد الجهود المسلحة الهادفة الى اسقاط نظام حكم سميث وتحرير زيمبابوي وتولي السلطة بعد تحقيق الانتصار . ونحن على يقين باننا سننتصر ، وما هي الا مسألة شهور .

والامبرياليون يعرفون ذلك وهم مستعدون لان يمسكوا بأي شيء وان يلفقوا أي شيء لاقناع العالم بوجود الانشقاق داخل الجبهة الوطنية بين اتحاد شعب زيمبابوي الافريقي واتحاد زيمبابوي الوطني الافريقي ، وهم يعتبرون احلامهم وحيا الهيا ، ويرون فيما يرى النائم انني تخاضعت مع مواجبه ثم يكتبون في جرائدهم بحروف كبيرة : «خصام بين نكومو ومواجهه» . وما هذا الا تصوير المرغوب فيه على انه واقع .

لقد نشرت الصحف الامبريالية في خريف ١٩٧٧ تصريحها نسبته الى مواجبه قال فيه ان نكومو كان قد حضر اجتماع سميث في اوساكا بكينيت كاونوا ، رئيس زامبيا ، وهذا يعني ، على ما يزعمون ، الانشقاق في الجبهة الوطنية . ولكن الامبرياليين يعرفون انهم يلفقون خرافات ، ويعرفون انهم يكذبون .

صحيح انني كنت في زامبيا في وقت اجتماع سميث بالدكتور كالوندا . وهذا ما اتاح فرصة ممتازة لتلقي خبر حضوري في هذا الاجتماع . ولكن على دعاة الامبريالية ان يعرفوا انني لم اعود على ان اعمل وراء ستار فلو انني حضرت في ذلك الاجتماع لقلتها . ذلك انني عندما اجتمعت بسميث في سالسبري ، فعلت ذلك علنا ثم تحدثت عن هذا الاجتماع فلقد اجتمعت به كي استوضح ما اذا كان سميث رجلا عاقلا يمكن ان يتحدث المرء معه . ثم بعد شهرين من المحادثات قلت للعالم انه مجنون واضفت انني لن االتقي به الا في ميدان القتال . وهذا ما يجري فعلا الان . ولكن اذا اعتزم سميث على الاستسلام فانا مستعد للاجتماع به كي اقبل استسلامه ولا اكثر من ذلك .

ولذلك فان الذين يطمعون بالانشقاق فى الجبهة الوطنية ، يقعون فى ضلال . انهم يزعمون بان موجابه هو الذى قال هذا . ولكن موجابه اذا

اراد ان يقول لى شيئا فلا داعى له بان يتوجه الى الصحف لاننا ننتمى الى منظمة واحدة وهو يقول لى أثناء لقاءنا أو فى رسالة الى كل ما يريد ان يقول بصدد الجبهة الوطنية . اما هذه المرة فلم يحدث ذلك وفى الحقيقة يلتقط بعض الناس الاشاعات التى تطلقها الصحف الامبريالية ، وفى مقدمتها الصحف البريطانية ، لان هذه الاشاعات مما يستطيعونله .

ومن المعروف اننى التقيت بعد ذلك بموجابه كما التقينا بصفتنا زعيمين الجبهة الوطنية برؤساء دول المواجهة . فابن هو الخطر الذى يهدد الجبهة ؟ ما هو سوى وهم وحلم ولن يتحول هذا الحلم الى حقيقة واقعة لتفرح قلوب الامبرياليين .

● ما هى المرحلة الراهنة لعملية توحيد جيش اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى ؟

— ليس هدفنا توحيد الجيش فحسب ، بل ونعمل من أجل توحيد اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى فى الجبهة الوطنية واضعين نصب أعيننا انشاء حزب سياسى موحد . وهناك بعض الاجراءات التى لم تدعها بعد ، ولا سيما فيما يخص البنية التى تصوغها . فقد قلنا بوضوح اننا نسعى الى انشاء حزب موحد ، منطلقين من التحالف بين المنظمين . ونحن نسير فى هذه الطريق وسنعلن فى مستقبل غير بعيد جدا ، كيف تتطور هذه العملية .

● كثيرا ما تحاول الصحف الامبريالية ان تصور تكوهم فى تليقاتها بأنه زعيم اكثر اعتدالا واكثر ملازمة للدول الغربية من موجابه ، كما يحاولون تصوير الرئيس كاوندنا بأنه قائد افريقى معتدل ، خلافا ، مثلا ، لما شيل «اليسارى» . فما رأيكم فى ذلك ؟

— كيف ، يا ترى ، يمكن توزيع النعوت — «معتدل» «يسارى» — فان بلد الرئيس كاوندنا يقف بثبات فى وجه نظام حكم سميث . فهل هذا هو الاعتدال ؟ ان هذه لغة الامبرياليين . وعلى الجميع ان يحترسوا

حتى لا يتعوا في شرك هذه المزاعم التي يحاول الامبرياليون بواسطتها ان يصفوا الناس .

لقد ضحى الرئيس كاوندا باقتصاد بلاده وپارواح ابناء شعبه في سبيل الدفاع عن حقوق زيمبابوى . فمن ذا يتجرأ على ان يقول انه معتدل ؟! ليس ذلك الا خرافة حقيرة .

وهل تكومو «معتدل» ياترى ؟ لقد قضيت في السجن ١١ عاما بسبب هذا «الاعتدال» . انه ليبدو شيئا جميلا ، اليس كذلك ؟ فمن ذا يقول اننى يجب ان اكون مقبولا لبعضهم في الغرب او في مكان آخر ؟ وبوجه عام ، من ذا يريد ان يكون مقبولا في الغرب او ان يحظى باستحسانه؟!

انهم يلحون تقييى . لكن شعب زيمبابوى هو وحده الذى سيقضى . واذا كنت قائدا لبلادى فهذا لان شعبى قرر ذلك ، وليس شخص ما خارج بلادى .

● من المعروف انكم ترفضون الخطة الانجلو - امريكية المذكورة لتسوية قضية زيمبابوى، بيد ان رؤساء دول الواجهة الخمس لم يرفضوها كعالم ترفضها منظمة الامم المتحدة فما هو موقفكم بهذا الشأن . ؟

- هذا تناقض . فلا يمكن لرؤساء دول الواجهة ان يقبلوا او ان يرفضوا ما يخص زيمبابوى . مع العلم بان موقفهم واضح : فانهم يؤيدون موقف زيمبابوى . وليس من وظيفتهم ان يقبلوا او ان يرفضوا قرارات تخص شعب زيمبابوى . فهذه وظيفة من وظائف شسبب زيمبابوى ، ويمكن لرؤساء دول الواجهة ، شأنهم شأن اى شخص آخر ، ان يبدوا وجهات نظرهم . اما حق البت في القضية فلا يعود الا اليها ، الى شعب زيمبابوى . فقد اعربنا بكل بوضوح ، عن مرقننا ، في الوثيقة التي اتخذت في مابوتو ووقع عليها موجابه وأنا . اما رؤساء دول الواجهة فلم يقبلوا سوى ابداء ارائهم .

وليس من وظائف منظمة الامم المتحدة ان تقبل اولا تقبل ما يرغب فيه شعب زيمبابوى . واشار مجلس الامن بهذه المناسبة بكل وضوح الى ان تعين مبعوث من الامم المتحدة وفقا للخطة الانجلو - امريكية لا يعنى البتة ان مجلس الامن يقبل المقترحات الواردة في هذه الخطة .

وكان مغزى كل هذه الخطوات هو انشاء جهاز « قرنة فى البجبة الوطنية الا تقبله ولا نرفضه » يتيح بحث البنية الانتقالية المقترحة فى الخطة الانجلو امريكية . قلنا : فليكن هذا الجهاز وسنوضح بواسطته ما اذا كانت نوايا بريطانيا بشأن تصفية الحكم الاستعماري فى بلادنا جدية ام لا . ولو كان قد تبين انها توافق على اقتراحاتنا بشأن البنية الانتقالية لكان ذلك دليلا على انها تفهم واقع الاوضاع فى روديسيا الجنوبية . ولو كانت بريطانيا قد رفضت ما تعتبره خطة صحيحة لدل هذا على انها تريد تضليل العالم اى ان هذا الجهاز بالذات الذى ارادت هى انشاءه قد فضحها .

● اية مواقع يحتل الان فى البلاد كل من الاسقف وزوربوا والكاهن سيتوله ؟ وهل يتمتعان بشعبية كبيرة فى البلاد كما تؤكد ذلك الصحف الامبريالية ؟

— ان الحديث حول شعبية هذه الشخصية او تلك عديم المغزى فى الوقت الحاضر . ذلك ان رعى الحرب تدور فى البلاد ، ونحن لانحدث عن الالاميب السياسية وانما نتحدث عن الحرب . ولشئ الحرب لابد من الناس العازمين على التضحية بارواحهم ، ليس بانفسكارهم او بمشاعرهم او باحلامهم — انما بارواحهم ودمائهم وذلك من اجل تحرير البلاد . ومن المعروف ان الناس لا يضحون بارواحهم من اجل شئ لا يؤمنون به .

ان اقارب الشباب المناضلين فى صفوفنا لن يسمحوا لهم ان يضحوا بارواحهم من اجل شئ لا يؤمنون به . وسكان بلادنا لن يضحوا بديارهم وارواحهم مساعدين الانتصار اذا لم يكونوا يؤمنون بقضيتهم .

وهناك آلاف من الشبان المناضلين الان فى صفوفنا من الذين يضحون بارواحهم ودمائهم ، ويحظون بالشعبية فى بوتقة النضال . والدليل على ذلك انخراط آلاف جديدة من الشباب فى صفوف الانتصار . والدليل على ذلك ايضا جرأة الناس الذين يساعدونهم على مغادرة البلاد للاستعداد لخوض النضال ويضمنون لهم المأوى والماكل بعد عودتهم . ويجرى اعتقال مئات من هؤلاء ، ويشنقون ويعذبون رميا بالرصاص على رؤوس الاشهاد جزاء لتأييدهم للانتصار ولكن السكان يستمرون فى تأييد الانتصار لانهم يؤمنون بقضيتهم .

تلكم هى الشعبية النضالية !

وإذا كان بعضهم يسعون وراء الشعبية في شوارع سالسبري حيث يلوح الناس بأيديهم ترحاباً بموزوريرا عندما يعود بعد زيارة الولايات المتحدة أو من مكان آخر ، فهذا غير مهم ، وأرجو أن تفهموا ذلك .

المهم هو عندما يضحي الناس بأرواحهم ، وتلكم هي الشعبية الحقيقية في ميدان القتال .

● كيف تتصورون زيمبابوي المستقلة المقبلة ؟

— أتصور مجتمعا لشعب زيمبابوي ودولة لشعب زيمبابوي في العالم الحديث . اننا شعب ذو ماض ، ذو تقاليد له لفته وثقافته وسير تركز مستقبلنا على مبادئ شعبنا وتقاليدنا . ولكننا نعيش في العالم الحديث وسنستوعب من العالم ، أي من الناس الآخرين ، والدول الأخرى ، ما يصلح لشعبنا .

ان شعبنا اشتراكي من حيث طبيعته . فهو لا يؤمن بأن الأرض مثلا يمكن أن تكون ملكا لأفراد . ان الأرض بطبيعة الحال ملكية عامة للناس . ان الأرض وكل ما فيها تعود الى الشعب . وعلى هذا الاساس سنبنى في زيمبابوي دولتنا المقبلة . ويوجد لاتحاد شعب زيمبابوي الأفريقي برنامج هو « مفهوم الحزب الايديولوجي » فسنروج له بين أبناء الشعب وسندعوهم الى اتباعه .

● ما رأيكم في أهمية التضامن الأممي مع نضال شعب زيمبابوي ؟

— هذه الاهمية كبيرة جدا . اننا نخوض حربا ونحتاج الى تأييد ، نحتاج الى مساعدات فعلية بالاسلحة والذخائر والمعدات الحربية . ونحتاج الى تعاون كل العالم وجميع البلدان ، نحتاج الى أصدقاء داخل البلاد وخارجها ، وذلك بهدف تحقيق الانتصار . ان كل القوى التقدمية مهما كان مكانها ، تناضل ضد الامبريالية وهذا يعني أنها تناضل ضد الشر نفسه : ضد الفاشية والعنصرية والاستغلال . وأنها تخوض نضالها لان أصحاب هذا الشر يريدون العيش على حساب دماء الآخرين .

كان الامبرياليون يريدون دائما اخضاع الناس وامتصاص دمائهم . وهكذا كانوا يمتصون دماء الشعب الروسي قبل ثورة أكتوبر . وأود بهذا الصدد لو أشير الى أهمية ثورة أكتوبر العظمى التي شقت الطريق أمام الشعوب المضطهدة في العالم أجمع وساعدتها على أن تدرك أنها تستطيع تحقيق الحرية والاستقلال . والعمل من أجل الرخاء العام . وفي هذا الاتجاه بالذات يتطور الان النضال في العالم .

ونحن ، اذن ، تناضل ضد الشر نفسه . وهو ذلك الشر الذي كان العالم

يناضل ضده في سنوات ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، في الحرب ضد الفاشية التي كانت تسعى الى فرض سيطرتها على العالم . وقد ثار الجنس البشري كله ضدها . ومن دواعي الاسف أن اليوم ، عندما نواجه العدو نفسه في جنوب القارة الافريقية ، تؤيد الدول الغربية فاشي جنوب افريقيا . انها تعمل هذا لانها تحصل منها على ارباح وفوائد وتستغل ثروات افريقيا الجنوبية . ولكن الفاشية تبقى فاشية على الدوام ، والذين يؤيدونها هم شركاؤها حقا وفعلًا ،

ولقد قلنا ذلك لممثلي الدول المذكورة ، قلنا لهم : هذا هو العدو نفسه ، وطبيعته نفسها ، ويمكنكم أن تطلقوا على الاشياء أسماء مختلفة ولكن لايجوز أن تتناسوا بأن المقصود هو الشر نفسه .

● ماهي في رأيكم أهمية الانفراج الدولي بالنسبة لحركة التحرير الوطني ؟

— ان الانفراج معناه السلم والتعايش . ولكن التعايش لا يعنى التسليم بالشر ، انما هو يعنى التعايش مع الشر ومكافحته بأساليب أخرى، غير حربية .

تنتهج البلدان الاشتراكية سياسة الانفراج والتعايش السلمى وهى مازال في الوقت نفسه تساعد تلك القوى التي تناضل ضد الاستغلال والفاشية . وهكذا تناضل البلدان الاشتراكية بالذات ضد هذه الشرور . ولا يعنى الانفراج والتعايش التسليم بالشر ثم استنكاره . ان البلدان الاشتراكية بانتهاجها سياسة الانفراج والتعايش السلمى تقف في وجه حروب تخريبية مدمرة حقا ولكنها تؤيد القوى التي تناضل في مختلف أنحاء ومناطق العالم من أجل القضاء على الشر . ويمكن بالطبع القضاء عليه عن طريق حرب عالمية ، ولكن ذلك يعود بالام وكوارث فادحة على البشرية جمعاء .

● ماذا يمكنكم أن تقولوا عن العلاقة بين المثل العليا لحركة التحرر الوطني والمثل العليا للحركة الشيوعية والعالمية ؟

— ماهي الحركة الشيوعية ؟ ان الدعاية الامبريالية تحاول تشويه سمعتها بكل الوسائل ، وتصويرها بصورة وحش مربع وغول رهيب . ولكنك اذا أمعنت الفكر في جوهر هذا المفهوم رأيت أن الشيوعية تعنى كل شيء طيب . انها تعنى أن الناس يعيشون جنبا الى جنب ويعملون معا كاخوة ، ولا يستغلون بعضهم البعض ، وهم يعيشون في ظل السلم والانسجام والوفاق . أما الامبرياليون فيرسون صورة قذيفة للشيوعية لانهم يخشون الحقيقة الكامنة في كلمة « الشيوعية » .

ماهي حركة التحرر الوطني العالمية ؟ اننا لانخوض النضال من أجل النضال

«اننا نناضل لكي نحقق لشعبنا مايعمل ويناضل ويستشهد من أجله الشيوعيون
• ان المسألة مسألة الفاظ ، وهي بالنسبة لنا تدل على المعنى نفسه •

ان هذا يرغب الامبرياليين • فاذا كانت الشيوعية تستهدف تصفية نظامهم
الاستغلال فلا بد لهم من أن يصوروا الشيوعية بصورة الشر • وسيظلون على
العوام يخوفون الناس بجمع « الشيوعية العالمية » • واذا ماشرحنا للناس
معناها الحقيقي فسيبدا الناس يفهمون الامر • اليكم مثالا واحدا يدل على
كيفية تصوير الشيوعية في العناية الامبريالية • ان شعبي يعرف الاهداف التي
تقوض نضالنا من أجلها أي اننا نناضل في سبيل تقرير المصير والاستقلال
واستعادة الشعب لأرضه وفي سبيل حقوق الشعب وكرامة الانسان الخ ...
وكذلك في سبيل تلك « الاشياء الصغيرة » التي لها أهمية كبيرة في حياة بسطاء
الناس : الحقول والمواشي وغيرها • ويعرف أبناء شعبنا اننا نناضل من أجل
ذلك بالذات • بيد ان أعداءنا الامبرياليين يتشدقون : « أن نكومو وكل مناضل
حركة تحرير ديمبابوي يستلهمون الشيوعية العالمية • انهم شيوعيون » • ويرد
شعبنا على ذلك قائلا : « اذا كان أولئك الرجال الذين يناضلون في سبيل
تحقيق امانينا ، شيوعيون ، فلا بد أن يكون الشيوعيون أناسا طيبين ! »

ان مجرد لفظ « الشيوعي » لايعنى كثيرا • فالشيء الرئيسى هو الهدف
الذى يناضل الشيوعيون من أجله • واذا كانوا يناضلون من أجل تحقيق امانى
شعبي فيحق لشعبي أن يقول : « ان الشيوعيون أناس طيبون فهم يطالبون بما
نطالب به نحن » •

اما الامبرياليون فلا يفهمون ذلك • انهم لايفهمون انهم يدعون عن غير قصد
منهم ، الى الشيوعية ، الى هذه الايديولوجية ذات الطراز الجديد ، التي تعتمد
على النضال من أجل حقوق الانسان •

وأنا أؤمن بالايديولوجية ليس لما فيها من عبارات جميلة بل لما تجلبه للناس
في الواقع •

كتاب الشهر



دائمة ، وكثيرا ما يبدو أقل وضوحا وسيب. عملية الانتشار السياسي على كسلا الجانبين . بيد أن النزاع قائم ، والاكثر أهمية أنه مع كل لحظة يصبح أكثر حدة. عما كان عليه في الأعوام السابقة .

وقد أصبح الدليل على هذه الحدة. متاحا وفي مقاليد اليد . وعلى المرء فقط. أن يتأمل ويدرس الصراع السياسي الفعلي الدائر داخل الكونجرس وخارجه على السواء ، وسيل التعليقات في الصحافة والتلفزيون . والمؤلفات الكثيرة التي تغمر سوق الكتاب الأمريكي . ويوجد بين هذه المجموعة الوفيرة من المنشورات ، التي تتباين كثيرا في نوعيتها وجودتها ، بعض الأعمال الهامة والمباعدة على الإهتمام ، . ويأتي في مقدمتها كتاب جورج كينان ، « سحابة الخطر » .

النقاش الدائر حول السياسة الخارجية الأمريكية ، أو كما سماه أحد المشتركين في هذا النقاش ، وهو البروفيسور رونالد ستوباك ، من جامعة ولاية أوهايو ، إعادة تقييم قواعد ومفاهيم السياسة الخارجية ، هذا النقاش لا يزال مستمرا . ويتركز حاليا على مسألة الانفراج والمعرفة الدائرة بين المدافعين عنه والمعارضين له ، بين أولئك الذين يدركون أنه لا مفر من تعايش النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، على الرغم من أنهم لا يرحبون بالاشتراكية ، وبين أولئك الذين يرفضون الموافقة على إمكانية الحياة في سلام وأمان مع النظام الاجتماعي الجديد .

ومن الطبيعي أن الخط للقاصم بين هذين المعسكرين - وكلاهما ينتميان إلى طبقة معينة - لا يكون واضحا بصورة

الأسلحة النووية أو بصورة عرضية تماما .
هذه هي الحالة التي يصفها كينان بأنها
سحابة خطر عاصفة تهدد العالم .

كيف يفسر كينان ظهور هذه السحابة ؟
ورد الفعل السلبي لبعض الناس تجاه
الانفراج ، والتصاعد اللولبي السريع
الخطير في تطوير الأسلحة في الولايات
المتحدة وأجاء الصيحة الهستيرية القديمة
« الروس قادمون » التي كان الأمريكيون
أنفسهم كثيرا ما يسخرون منها .

وقيل تلخيص آراء كينان في تلك المسائل
يتعين تأكيد أن المؤلف يعتبر العلاقات مع
الدول الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد
السوفييتي ، المشكلة الرئيسية للسياسة
الخارجية للولايات المتحدة .
ومن الطبيعي أنه يتعين على كينان في
تحليله للعلاقات الأمريكية السوفييتية أن
يعالج سياسة الانفراج - وعلى الرغم من
أنه يفرغ للتشكك إلى أحد ما في المصطلح
نفسه ويقدم تفسيراً غير طبيعي تماماً
لأسباب نجاحه فإنه يعترف بالفعل بأن
« الانفراج » يعني بالنسبة لآناس كثيرين
حدث تغير عام في العلاقات السوفييتية -
الأمريكية ، تحول أساسي عن المازق الذي
كانت تواجهه مما يعين هذه المرحلة من
العلاقات عن كل ما كان قائما من قبل .

وعند مناقشته لأسباب الموقف السلبي
لبعض دول الولايات المتحدة تجاه
سياسة الانفراج ، يكتب كينان أنها أسباب
نفسية في الأساس نابعة من فشل جزء
من الشعب الأمريكي في فهم حقيقة طبيعة
الانفراج وهو نوع من خداع النفس وتنويم
الذات . لقد عقد الاتحاد السوفييتي
والولايات المتحدة اتفاقيات في مناطق
خاصة ومحدودة كما يقول ولكن الاتحاد
السوفييتي لم يقدم وعوداً في مناطق أخرى
لا تشملها الاتفاقيات المعنية .

إلا أن بعض الناس في أمريكا قرروا أن
تلك الاتفاقيات تعني أن الاتحاد السوفييتي
قد تعهد بعدم مساعدة دول أخرى وأنه قد
وافق كذلك على البدء في تسخير المجتمع
السوفييتي طبقاً للتجارب السائدة في
البلدان الرأسمالية .

والمسألة الأولى بالنسبة لهذا الكتاب ،
هي أنه يعكس بصورة توضيحية مزاج
الجناح الليبرالي المعتدل في الفكر السياسي
للبرجوازي الأمريكي وثانيها ، أنه
يستعرض استعراضاً شاملاً العلاقات
الدولية ، متعرضاً لسلسلة واسعة من
المسائل المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة
تجاه دول ومناطق كثيرة في العالم ،
وبخاصة الاتحاد السوفييتي . ويحاول
أخيراً أن يبلننا على المصالح التي تهم
الولايات المتحدة في تلك المناطق ، ويصدد
السياسة التي يعتقد المؤلف أنه يتعين
اتباعها .

ولكن يتعين أولاً تقديم تعريف بالمؤلف ،
الذي يستحق تنويهاً خاصاً . لأنه ، كغيره ،
كان أحد أسباب الاهتمام الواضح بهذا
الكتاب .

وقد تولى جورج كينان مؤسس أفكار
السياسة الخارجية للبرجوازية الأمريكية
• • • واحد المعلمين الرئيسيين للمدرسة التي
تعرف باسم « الواقعية السياسية » مناصب
مختلفة في وزارة الخارجية وكان سفيراً
في موسكو وبنجراد واكتسب شهرة كأحد
المتخصصين بالشؤون السوفييتية .

ويعمل استقذاً في معهد الدراسات
المتطورة في برستون ومؤسس معهد كينان
في واشنطن لدراسة شؤون الاتحاد
السوفييتي .

والف كتباً كثيرة ساعدت على تحديد
شكل وأسلوب سياسة الولايات المتحدة
تجاه الدول الاشتراكية أو على الأقل
ضربت تاريخ تلك الخلافات . وكما هي
الحال في الغالب مع رجال الدولة الباحثين
الأمريكيين من كينان بطور مثير إذ انتقل
من كونها أحد المهنيين والمهندسين الرئيسيين
لبناء « الاحتواء » الأمريكي الرسمي المعادي
للشيوعية ، إلى ناقد لهذا المبدأ .

وهذه لحة سياسية مختصرة لمؤلف كتاب
ترتكز رسائله الرئيسية على أن القوة
الدافعة والحركة لسباق التسلح ذي الخطر
المضخم والانهائي ، والمعد بدرجة واسعة
ربما تفلت إمكانية التحكم فيه ، ويلحق
الدمار بنا جميعاً ، سواء بسبب تكاثر

معروفا باسم « السلام الامريكى » والذى يرتكز ، كما يقول ويليم فوالبيرت ، على « عجرة القوة » ، وأخيرا مشكلة تحديد موقفها من الاشتراكية كنظام اشتراكي .

وتلك المشكلات الثلاث جميعا مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وثيقا ، ولا أحد يدرك عندما يجد كينان يعود إليها دائما ويدرسها من جميع الزوايا . أنه يبدأ بتحليل الظروف الداخلية التى يعتقد أنها تهدد بصورة خطيرة من قدرة الولايات المتحدة على التصرف بشكل فعال فى السياسة الخارجية .

ويقول كينان ان العامل الرئيسى الذى يحد من قدرتها هو التجمع العسكرى الصناعى ميزانيته السنوية التى بلغت منذ زمن طويل المائة بلديون دولار الى جانب المشتريات من المعدات الحربية التى تبلغ قيمتها أكثر من ٣٠ بلديون دولار سنويا ، وألتي ينعين ان تضيق حوالى عشرة بلايين دولار أخرى ، قيمة مساعدات ومبيعات الأسلحة للدول الأخرى .

وقد أصبحت ميزانية التسلح المصاعدة باستمرار ، منذ زمن بعيد بمثابة ادمان اقتصادى قومى مثلما رسمها المؤلف أصبح لها جذور عميقة فى المجتمع . والنطاق الهائل لهذه الظاهرة لا يمكن تمييزه .

ويقول كينان انه لا يمكن تبرير على وجه الخصوص لأن ما يسمى بالتهديد القادم من الاتحاد السوفيتى الذى يستخدمه مؤيدو سباق التسلح كذريعة لهم ينبع من الخيال وليس من الواقع .

ويقول ان أسطورة التهديد السوفيتى « هى أحد المقالب الرعقة المبنية من تبسيط فعال فيه ، وفهم مبالغ فيه » (ص ١٢٤) وزيادة على ذلك فالرجل الذى يعيش فى الغرب لا يمكنه ان يلقى فى المعلومات المتعلقة بالقوة العسكرية السوفيتية التى تصبها الصحافة الراسخات والسياسيون المحافظون فى أذنيه وحتى اذا كان الصحيح ، كما كان يكتب كينان ، ان الولايات المتحدة تتخلف عن الاتحاد السوفيتى فى التسلح ، فسوف يتضح أن السبب فى ذلك يكمن بدرجة أقل فى سرعة وإبعاد الجهد السوفيتى عنه فى

ويقول كينان ان مثل هذه الانحرافات قد توصلت إليها « مجموعة متباينة ولكنها كثيرة العدد وقادرة على أحداث ضجة » .

من الواضح ان كينان على حق عندما يقول ان الاقتصاد السوفيتى فى تشجيعه للسلام والانفراج وتوقيع الاتفاقيات مع الولايات المتحدة ، لم يتعهد قط بخفض أو الحد من المساعدة والدعم والتأييد الاممى للشعوب التى تقاوم وتكافح ضد الامبريالية وفى سبيل تحريرهم الوطنى والاجتماعى . ومع ذلك يصعب على المسرء ان يتفق مع وصفه للعلاقات السوفيتية الامريكية بأنها « محدودة » ، وبخاصة حينما تتركز المناقشة حول حقيقة مثل المبادئ الاساسية للعلاقات المتبادلة بين الاقتصاد السوفيتى والولايات المتحدة . وبالمثل فحتى لو كانت هناك سيكولوجية لجو الهستيريا المعادية للسوفيت فى الولايات المتحدة (وكان يوجد لذلك أساس صلب ، وضعته الامبريالية الامريكية خلال سنوات الحرب الباردة) . فان هذه الهستيريا كانت تستند على مصالح متماثلة وقوية . وبين كينان نفسه فى فصول أخرى من كتابه القوى السياسية الفعلية التى تحاول ان تسد طريق الانفراج - دولر الأعمال النواقة الى العقود والازياج ، والعسكريون وغيرهم الذين يمثل حلمهم البعيد فى ان يشهدوا الاطاحة بالنظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى والتاس الذين تمثل معاداة الشيوعية نخيرتهم السياسية . وأخيرا زعماء النقابات التى يعمل عمالها فى الصناعات الحربية .

وفى نفس الوقت فعندما يقرأ المرء كتاب كينان فإنه يستطيع كذلك ان يجد ليس فقط القوى السياسية بل وحتى نماذج الأفكار وهذا هو الأكثر أهمية ، التى تهدد بدفع السياسة الخارجية الامريكية فى اتجاه معاكس ، وتحويلها من الطريق الواقعى وتوجيهها فى طريق مسدود .

والآن وبعد عدة عقود ، مازالت الطبقة الحاكمة الامريكية عاجزة عن حل ثلاث مشكلات اساسية على الأقل : مشكلة سياق التسلح ، ومشكلة التقييم الصحيح لدور وأهمية الولايات المتحدة بالنسبة لبقية العالم أو بشكل آخر لقيمها ما أصبح

علينسا ان ننسب اليهم ذاكرة اطول من
ذاكرة الصحافة الغربية » .

واذا ما قلنا التاريخ الحديث وفكرنا
فى نطاق المشاكل الداخلية وبخاصة
الاقتصادية التى يواجهها الاتحاد
السوفييتى ، كما يقول كينان ، فان اية
افكار عن سعى الروس الى السيطرة
العالمية ، وهو استخدام لتقرير المطالبة
باتخاذ موقف عسكرى وسلبى ومعاد من
الاتحاد السوفييتى لا تجد ما يساندها .
السياسة الخارجية كما يقول كينان ،
تبدأ فى الداخل . بيد ان ذلك « درس لم
يتعلمه كثير من الناس فى بلادنا الا ببطء »

وفى تحليله للمفهم العام الذى تستند
عليه السياسة الخارجية للولايات المتحدة
مباشرة الى حد ما ، السياسيين الامريكيين
الذين لا يزالون يحملون « معالم امريكى »
عالم يتخذ الولايات المتحدة الامريكية
نموذجاً له ، واولئك الذين لا يزالون رغم
الثقة والوقائع التى ازلت الاوهام فى
السنوات الاخيرة ، مقتنعين ان ما هو فى
صالح امريكا ، يصبح صالحاً للعالم .

وقد لاحظ الصحفي الامريكى لويس
برومفيلد ، ذات مرة انه من السمات
المميزة للامريكيين انهم يقيسون كل شئ
اجنبى بالمعايير الامريكية - ان معتقداتهم
يعتقدون انهم يديرون الامور افضل من اى
فرد آخر ، وانهم اكثر ثراء ، ولذلك فهم
افضل واقوى من بقية العالم . وعن طريق
ترويج « وجهة النظر » تلك بتدريسها للفرنسية
وللقوة الغاشمة لم تقم الدعاية الراسمالية
فحسب بغرس الافكار الابريمانية فى وعى
الجماهير ، ولكنها فى نفس الوقت استغلت
بشكل سافر ولا حياء فيه هذه « الحقائق »
اليدائية مثل القوة هى الحق ، وتلاعبت
بافكار ترجع الى ايام الغرب المتوحش ،
واكثرت منها واصلتها ، وطبقها كلية فى
العلاقات الدولية .

ويدين كينان مثل هذه الاوهام التى
وضعت على مستوى السياسة الرسمية
« فهؤلاء الامريكيون الذين يعتبرون بانهم
يعرفون بكل تأكيد ما يريدونه الآخرون
من الافضل ان يسألوا انفسهم ما اذا كانوا

التكلفة المتزايدة بدرجة مجنونة للأسلحة
الامريكية نفسها » . وليس هناك شك على
الاول بين الخبراء الامريكيين كما يقول
المؤلف بمصراحة فى ان نظريات التسلح
المساعدة على الدوام لها نتائج تضخمه
قوية .

ويضيف كينان مبدأ « اول من يستخدم »
باعتباره مبدأ مضيقاً وغير اخلاقى للدرجة
بعيده . والمدافعون عنه مناقفون ويسمون
بالفسوة . والذين يتمسكون بمبدأ اول من
يستخدم هذه الاسلحة ضد بلدان شرقى
اوربا ، كما يكتب ، يبدو انهم يعتقدون كما
لو ان الناس هناك ، الكبار والاطفال
والنساء ، وكل هؤلاء الذين يبدى الغرب
قلقاً كبيراً على حقوقهم - اهل ميدا للمعاناة
او الائم عن امثالهم فى العالم الراسمالي .

وفيما يتعلق بالنزعة العدوانية
السوفييتية فان الروس ، كما يقول كينان ،
لم يواجهوا حرباً كحرب فيتنام فى
السنوات الاخيرة وهى حقيقة تشهد على
ضيق النفس يصعب على الامريكيين ان
يدعوه بالنسبة لانفسهم .

ويواصل كينان قائلاً : انه منذ الحرب
الكورية والاتحاد السوفييتى يجد نفسه
مواجهاً بمنشآت دفاعية لأمريكا وحلف
الاطلطي احاطت الاتحاد السوفييتى بقواعد
للمصواريخ فى اوربا الغربية واليونان
وتركيا واوكرانيا وكوريا ومناطق اخرى
كثيرة فى العالم . ويشير كينان الى
النطاق الواسع للوجود البحرى الامريكى
فى كافة المحيطات . ويعدد الى الازهان ان
الولايات المتحدة قد اقترت ولم تغل ايديا
ما يسمى « بقرار الامم المستعبد » والذى
يلقى على عاتق الولايات المتحدة مهمة
الاطاحة بالسلطة الشيوعية فى كل مكان
سواء فى روسيا او فى شرق اوربا . وفيما
يتعلق بمبيعات الاسلحة الامريكية الى
بعض البلدان التى تقع على حدود الاتحاد
السوفييتى او بالقرب منه يفكر كينان فيما
يمكن ان يقوله بعض اعضاء الكونجرس
اذا ما بدأ الاتحاد السوفييتى يبيع الاسلحة
على نطاق شامل ، للمكسيك ، مثلاً .
ويضيف انه ينبغي على المرء الا ينسى على
الاطلاق القوى الانتقامية فى ألمانيا
الغربية . « ولكن فهم رد فعل الروس

اتأس في الولايات المتحدة لايزالون يحلمون احلاما غربية وبالية ، ترجع الى عقود سابقة . لكن اذا كان الامريكيون يريدون حقا تقادي كارثة ، وإذا كانوا يلوون حقا ادراك ما يسميه الكاتب الإكثبات البناءة العظيمة للعلاقات السوفيتية الأمريكية ، فإنه من الأفضل لهم العثور على وسائل أخرى أكثر ايجابية وصائبة لحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي بدلا من محاولة استغلال الصين ضده . والعلاقات السوفيتية الأمريكية هي الموضوع الرئيسي لكتاب كينان . ونصيحته هي انه يتعين النظر الى هذه العلاقات كمشكلة سياسية جلية وخطيرة ، لها وجهها العسكري ، على الرغم من انه وجه ثانوي .

ان الولايات المتحدة ، كما يقول ، لا يمكن أن تجعل من « الاطاحة بالسلطة السوفيتية هدفا لها » او (ويبدو ذلك كما لو كان مناقشة ضمنية لمفهوم مستشار الرئيس للامن القومي) « تحقيق تغيير جوهري في طبيعتها » (ص ٢١٦) . والولايات المتحدة تواجه المهمة الاصعب ، مهمة ايجاد مخرج من متاهة مشاكلها وخلق ظروف في البلاد يستطيع الامريكيون ان يشعروا في ظلها بالارتياح . أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي ، فالمهمة ليست تدمير او تغييره لشيء آخر ، وإنما العثور على وسيلة للتعايش جنبا الى جنب معه والمعامل معه ، مما يؤدي الى تقليل بدلا من زيادة الاخطار التي تواجهها جميعا .

وهذا القول ، مهما كان قصيره ، يدين المفاهيم الإمبريالية الأمريكية حول الاطاحة بالنظام الاشتراكي وتقويضه أو « تعريبه » . وربما كان ذلك أهم جانب ، ومع ذلك فإنه كما سنرى اقل ما نوقش مناقشة جادة في نقاط كينان . ونجد التناقضات والحفظات حول هذه المسألة في كل صفحة من كتابه تقريبا .

فمن ناحية ، يفضل كينان معاملة البلدان الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفيتي ، كمشاركين مخلصين في الحياة الدولية ، وهو يعارض بشدة أية اجراءات تمييزية في سياسة التجارة الأمريكية حيال الاتحاد السوفيتي .

يحاولون بالفعل فرض قبيهم وتقاليدهم وعاداتهم الفكرية الخاصة على شعوب لا تمثل تلك الأشياء بالنسبة لها شيئا صالحا او ذي فائدة (ص ٤٣) . اذ بحث على الاعتراف بأن هناك قيودا صارمة على نفوذ الولايات المتحدة على مجرى الأحداث العالمية ، ينصح المحسنين لزعامة أمريكية للعالم « باتخاذ موقف أكثر تواضعا (ص ٤) » . ويعلق كينان على ذلك قائلا ان الولايات المتحدة يمكنها فقط ان تصبح نموذجا اذا ما قامت أولا بترتيب شئونها في الداخل ، بمعالجة الجريمة والتضخم والبطالة وانتشار الصور والادب الاباحي ، واعتماد الصحافة على الاعلانات وغيرها . ولكن نعطى كينان ما يستحقه ، يمكننا القول بأنه قد كتب عن هذه الأشياء قبل ذلك وديم وجهه نظره بالوثائق . ولا يقل التكرار من حقيقة الآخر ، وليس هناك ما يبحث على الدقة اذا ما وجبنا كينان يدرس مرة أخرى السياسة الأمريكية تجاه البلدان والمناطق المختلفة في العالم من وجهة نظره في كتابه الجديد .

وينصح كينان بأنه يتعين اعادة قنـاة بنما الى بنما ، واعادة العلاقات الدبلوماسية مع كوبا ، كما يتعين بصقة عامة ترك أمريكا اللاتينية « لحالها » . ويعتقد كينان ان الولايات المتحدة « ليس لديها اجابات » على مشكلات افريقيـا . انها ليست مشكلات أمريكية في الأساس ، لذلك يتعين على الأمريكيين ان يتخذوا « موقفا عاقلا وغير متحيز » .

وفي آسيا ، باستثناء اليابان التي يعتبرها المؤلف « حجر الزاوية » في السياسة الأمريكية في الشرق الأقصى ، لا يوجد للولايات المتحدة « أية مصالح حيوية » (ص ٩٢) . بيد أن أكثر الأمور خطورة ، كما يكتب كينان « فهو الرأي القائل بأنه يتعين علينا توجيه علاقاتنا مع الصين ضد الاتحاد السوفيتي - أي ينبغي أن نحاول ، في كلمات أخرى ، الاستفادة من الصين كاداة لتعزيز مصالحنا ، والحد من مصالح الاتحاد السوفيتي ، في العلاقات السوفيتية الأمريكية . ونحن نجد من الصعوبة القول بأنني أرفض بقوة مثل هذه الإراء والاقتراحات » (ص ١٠٦) . ويضيف قائلا أنه يوجد ، بطبيعة الحال ،

•• ينبغي أن تكون هناك حدود لا تتخطاها العلاقات الأمريكية السوفيتية (٢٩) •

وينفس الطريقة ، ففي الوقت الذي يدبر فيه ميغا سباق التسليح ، يعلن كينان أن قسوات حلف الاطلسي الموزعة في أوروبا تلعب دورا يساعده على الاستقرار • وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه يندفع إلى أكثر من ذلك في محاولته التقليل من أهمية الانفراج • وفي تناقض مع المنطق الأول ومع الحقائق التي قدمها بنفسه ، يحاول أن يثبت مواصلة السياسة الخارجية الأمريكية السعي إلى السلام • وربما أرادنا أن تصديق أن الانفراج لا يتخطى الأهداف المرسومة منذ وقت طويل للسياسة الأمريكية باستثناء فترة الحرب الباردة في أوائل الخمسينات • وفي نفس الوقت يحاول متأخرا بعض المثقفين أن ينكر دوره في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية العدوانية بإعلانه أنه شخصيا كان على الدوام معارضا نشطا لحل هذه السياسة •

ومع ذلك ، لأي شخص مطلع ولو لآل قدر على تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية يدرك تماما أن كل استراتيجية ما بعد الحرب للسياسة الخارجية للولايات المتحدة كانت ترتبط بالتهديد باستخدام القوة • وإلى ذلك يمكن للمرء أن يضيف أن كافة مبادئ السياسة الخارجية لما بعد الحرب في الولايات المتحدة • ابتداء من ميغا « احتواء » الشيوعية و « تحرير » شعوب البلدان الاشتراكية ، إلى « رد الفعل البرن » و « بناء الجسور » حتى حملة حقوق الإنسان « الحالية » كانت تهدف إلى تقويض الاشتراكية ، وإلى « تهيئة » النظام الاشتراكي •

أما فيما يتعلق بدور كينان في رسم هذه السياسات فينبغي أن نتذكر أن الذي وضع واحدا من أول ميغا الحرب الباردة ، وهو ميغا « الاحتواء » ، لم يكن بالتكسيه ديبلوماسيا أو رجل دولة سوفيتي • إن واضع هذا الميغا هو جورج كينان • ولتبرير هذه السياسة ، حاول كينان أن يلقي اللوم لبدا الحرب الباردة على الاتحاد السوفيتي • وهو إذ يفعل ذلك ، كما يقول لنا المؤرخ الأمريكي ش. لاش ، يبدأ كتابة تاريخ الحرب الباردة •

ويمكن تلخيص حججه فيما يلي : أن فكرة كسب امتيازات سياسية من خلال التجارة قائمة على الافتراض بأن الولايات المتحدة لا تحتاج إلى التجارة لأسباب اقتصادية أو مالية • بيد أن ذلك ، في رأي كينان ، مفهوم خاطئ تماما • وبالإضافة إلى ذلك ، فإن مثل هذا الموقف ربما يعني أن الولايات المتحدة بالتجارة مع الاتحاد السوفيتي إنما تقوم بعمل نبيل ، لابد وأن يدفع الطرف الآخر مقابله أسعار (السوق) الجارية بالإضافة إلى ثمن سياسي • ويصف كينان هذا الموقف من المسألة بأنه غير عاقل ، وعلى أية حال ، غير عملي •

إنه يرفض كذلك فكرة أخرى تروج لها شخصيات هامة في حكومة الرئيس الحالية - المساندة الواسعة لما يسمى بالمشقيين واستخدامهم • ويقول أنه في الولايات المتحدة يسمع المرء أحيانا نداءات لجعل « معاملة المشقيين حصر الأساس في العلاقات السوفيتية الأمريكية ، حتى ولو أدى ذلك إلى الإضرار بالتقدم في المجالات الأخرى للملائمة » (ص ٢١٤) • ولكن بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، كما يقول كينان « ربما لا تمثل هذه المسألة مشكلة كما جعلتها الصحافة الأمريكية تعقد » (ص ١٨٤) • وثانيا ، فكثير من هؤلاء المشقيين « غالبا ما يكونون مجرد أطفال حينما يتعلق الأمر بفهم العلاقات الدولية » (ص ٢٢٦) • وثالثا ، أنه إن المألوم ، كما يقول كينان ، أن نرى شخصيات بارزة وذات نفوذ في الكونجرس تجلس في خشوع عند اقدام منشقين قادمين اليكسا لا تهتم كثيرا مصالح الولايات المتحدة أو حتى مصلحة السلام في العالم • وباختصار ، فإنه يخلص إلى أن مساندة المنشقين تشكل عقبة في تناول مسألة إقامة علاقات صوية مع الاتحاد السوفيتي (ص ٢١٨) •

وعندما يقرأ المرء هذه الأقوال لكينان لا يمكنه إلا أن يشعر أن العديد منها يعالج الأمور بصراحة • ولأنه من ذلك ، أن تجد في صفحات أخرى أقوالا تتناقض مع ما سبق عرضه • فعند مناقشة المنشقين ، مثلا ، يعلن كينان أنه طالما استمرت في الوجود الظروف « التي تذكرنا بها يوميا أجهزة الصحافة الأجنبية في موسكو » (٢٩)

وبيرز كتاب كينان « سحابة الخطر » .
ذلك بما فيه الكفاية . وسواء عن طريقه .
المصادفة أو عن عمد يكشف المؤلف اعراضا
عديدة لهذا المرض القديم المستعصي للمجتمع
الأمريكي . وليس من المصادفة ان يتذكر
المرء كلمات راع آخر من رعاة أفكار
السياسة الخارجية الأمريكية ، وهو
البروفسور هـ جـ مورجنتاؤ (١) : « اذا ما
كان ينبغي على المرء ان يحدد السياسة
الخارجية الأمريكية في جملة واحدة »
يمكنه ان يقول أنها عاشت خلال العقد
الآخر أو ما يزيد على رأس المال الثقافي
الذي تراكم في الأسابيع الخمسة عشرة
الشهيرة في ربيع ١٩٧٤ عندما شكلت
سياسة الاحتواء ، ومبدأ ترومن ،
ومشروع مارشال ، سياسة خارجية أمريكية
جديدة ، وأن هذا الراسمال قد استنفذ الآن
تقريبا . لقد أصبحت تلك السياسات
بالية ، وكانت الولايات المتحدة عاجزة عن
صياغة سياسات جديدة قادرة على
المعالجة الناجحة لمشاكل عصر مختلف » .

كتبت هذه الكلمات منذ تسع سنوات
مضت . وقد تغير الكثير منذ ذلك الوقت .
وظهر الانفراج في الحياة الدولية ، ووقعت
اتفاقيات هامة . بيد أن الهجوم على
سياسة الانفراج ، والمحاولات العديدة
لفرض تغير حاد في النهج تبين أن الفكرة
التي عبر عنها مورجنتاؤ لم تفقد شيئا من
تأثيرها اليوم . والبديل الوحيد هو مواجهة
الوقائع السياسية ، وأن تكون واقعيين .

وقد أجبر كينان فيما بعد على الاعتراف
بفضل هذا الموقف غير الواقعي . وهو
يعترف كذلك ، في الحقيقة ، بذلك في
كتابه ، الذي يضم كثيرا من المناسبات التي
يتناهنس فيها كينان الجديد ضد كينان
القديم .

ومع هذا ، فعندما نقرأ « سحابة
الخطر » لا يمكننا الا ان نفكر في حقيقة أنه
لعدة عقود الآن كانت بيانات عديدة من
رجال الدولة والشخصيات العامة
الأمريكية ، بما في ذلك بعض الرؤساء ،
غير متطابقة أو متناقضة مع تصرفاتهم .

ولا يدافع كثير من الناس في الولايات
المتحدة اليوم عن فكرة « عالم أمريكي » .
بيد أنه لا يزال هناك بعض الناس والقوى
ذات النفوذ الذين يسترشدون بهذه الفكرة
الغجاء في علاقاتهم العملية .

واليوم يرفض عدد متزايد من رجال
الاعمال والسياسيين الأمريكيين فكرة
الاطاحة بالنظام الإمبراطوري بالوسائل
العسكرية أو تقويضه بوسائل أخرى
مختلفة . ومع ذلك لا يزال هناك حتى
اليوم عند كثير من الناس ذوى النفوذ في
الولايات المتحدة يفسكرون بمنطق رفض
الغرب للاعتراف بالوجود المتكافئ
و « المشروع » للعالم الإمبراطوري بنظامه
السياسي الاجتماعي وطريقته الخاصة في
الحياة .

(١) هانز جـ مورجنتاؤ ، سياسة خارجية جديدة للولايات المتحدة ،
نيويورك ، ١٩٦٩ .

أحداث الشهر

● في الفن والثقافة ●

● ذكرى الحجاوى الكاتب الشعبى * * * * *

● من عواصم العالم :

- حقيقة أزمة الطاقة * * * * *
- تزايد صادرات السلاح * * * * *
- المصالح النفطية للولايات المتحدة * * * * *
- استراتيجية تصعيد التسليح * * * * *
- اتفاقية روديسيا * * * * *
- سوابق ومشكلة ناميبيا * * * * *
- إعادة تنظيم المخابرات الامريكية * * * * *
- امريكا والسوق المشتركة * * * * *

زكريا الحجاوي

بقلم : أحمد فوزي

الصحف والمجلات ، مثل روزاليوسف وصوت الإمة والنداء ومجلة القصة ، ومجلة الغد الشهرية ٠٠ ثم عمل في جريدة المصري ثم جريدة الجمهورية ٠ وعمل بالثقافة الجماهيرية منذ انشائها سنة ١٩٥٩ ، ومن يومها بدأت رحلاته الطويلة بحثا عن الفولكلور والاغاني الشعبية المصرية ، وتجميعها ومعرفة أصولها ٠٠

ثم هاجر الى قطر ، بحثا عن كنوز الفن الشعبي ، الذي كان يشغله الشغل طوال حياته ، وظل يعمل هناك في تجميع الفنون الشعبية الى أن توفي يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٥ ، ليسدل الستار على حياة أحد الفنانين المصريين الموهوبين الذي أثرى الحياة الفنية في بلادنا بأعمال جيدة ووفيرة كلها من الفولكلور المصري القديم ٠

منذ مساء يوم ٣١ يناير الماضي ، تلتقى على مسرح السامر ، مجموعة كبيرة من الفنانين ، ليحيوا ذكرى عاشقهم ، الفنان والشاعر والأديب الراحل زكريا الحجاوي ، في أمسية « عاشق المداحين » ٠

وزكريا الحجاوي ، الفنان الراحل المحتفى به ويذكره ، ابن فلاح من ريف مصر ، ولد في قرية المطرية سنة ١٩١٤ ، وحصل على الشهادة الابتدائية من بورسعيد ، ثم التحق بمدرسة الفنون والصناعات بها ، الى أن انتقلت أسرته الى القاهرة ، وعمل موظفا بمجلس مديرية الجيزة عام ١٩٤٦ ٠

وبرزت في ذلك الوقت اهتماماته الانسية والفنية ، كأديب وطني وكاتب قصص ، وشاعر ٠ ونشر كثيرا من إنتاجه في بعض

فلاح يبطل كانه التاريخ

مفتون بليلالى القمر المصرية

ويستمر الرواة فى تحبة الفنان الراحل، ويتخلل ذلك مقاطع غنائية ومواويل شعبية من المؤلفات المشهورة لـ زكريا الحجاوى ، التى تبرز عشقه وغرامه وحبه لوطنه مصر ، ثم يبدأ الفنانون تقديم جولته فى الحياة من خلال عرض لحياته الفنية المثمرة والغنية بالاعمال ، فى مشاهد درامية متكاملة ، من مسيرة أيوب المصرى ، احدى أعمال زكريا الحجاوى البارزة ، وفيها تردد ناعسة التى ترمز الى مصر :

الصبر لازم يكون قوة يا ناس مش ضعف

الصبر لازم اخلق من مراره دوا

لازم دوا ..

الصبر بسمة تولدها من مرار الدم

وبعدا يبدأ الرواة فى تقديم تعليقات شعبية تبرز سمود مصر ، ممثلة فى ناعسة ، وهى تبحث عن سعد اليتيم ، وهى احدى الاعمال الشهيرة التى قدمها زكريا الحجاوى فى حياته ، وجزء من الـ امسية التى يقدمها حاليا ، كل ليلة ، مسرح السامر الذى تقرر اطلاق اسمه زكريا الحجاوى عليه ، وكاحدى المساهمات فى تخليد ذكره .. ذكرى فنان عاش يمجد بأشعاره وأعماله الفنية كفاح الشعب المصرى طوال تاريخه .. كما اقيم داخل المسرح معرض يضم صورا لأعماله .



الذى جمعه الفنان الراحل ، وقدمه للمتعين

فى صورة أعمال وعروض متكاملة ..

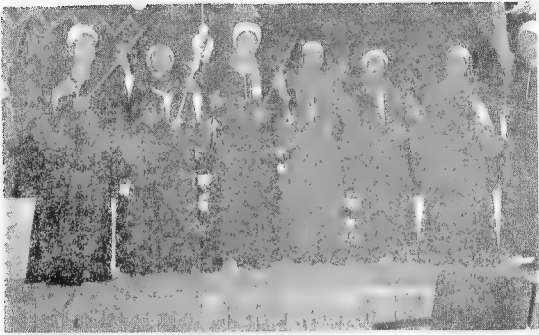
وامسية « عاشق المداحين » ، التى تقرر عرضها على مسارح الإقائليم أثناء شهر ابريل الحالى ، تبدأ كل ليلة بـ كنغفال شعبى يشترك فيه ١٢٠ فنانا وفنانة ، كان زكريا الحجاوى قد اكتشف عددا كبيرا منهم . وصقل مواهبهم وقدمهم للجمهور فى أعماله ، كـ منشدين متخصصين فى اداء الاغانى الشعبية والفولكلورية .. وهو عمل كان فيه زكريا الحجاوى خبيرا بارزا وفريدا ..

ويبدأ العرض بأن يتقدم على المسرح اربعة رواة ، يكون عن بطولية شعب مصر وصلاية الانسان المصرى .. ثم يتقدم فريق من الفنانين الشعبيين يرقصون ويغنون بحب مصر وعشقها .. ويعدها يتبادل الرواة القاء قطعة شعرية تقول :

كان زكريا الحجاوى صياد

فى بحور النغم المتبحر من وش

الرية الشتوية



الرحمن المشافعي وكتبه يسرى الجندى ،
 وريط بين فقراته الشاعر عبد العزيز عبد
 الظاهر ، ويشترك فيه من بين أبطاله
 الكثيرين : ابراهيم حنا وفتحية طنطاوى
 وسيد عبد الهادى ، ومحمد أبو العينين ،
 الذين يقومون بدور الرواة ، ويقوم بإداء
 الاغنيات ، خضرة محمد خضر ، احدى
 المغنيات الشعبيات التى اكتشفها زكريا
 الحجاوى وصقلها وقدمها فى عروضه ،
 وجماليات شبيحة ، وقاطمة سرحان ، وعزيزة
 راشد ، وابراهيم حلمى وفاروق عطية
 ومحمد أبو العينين .. المداخون الذين
 يتجمعون مساء كل ليلة على مسرح زكريا
 الحجاوى لحياء ذكرى عاشقهم ، الذى
 اعطى حياته وانتاجه ، له كل الفضل فى
 احياء التراث الغنائى الشعبى فى بلادنا .

ويستمر العرض بمواصلة رحلة الفن
 والصمود من اجل مصر وشعب مصر ..
 ومن اجل حياة افضل وسلام دائم وعادل
 للابنين العمال والفلاحين الذين ينتجون
 ويصنعون الحياة والمستقبل .

ثم يبدأ سعد اليتيم فى ابراز كم كانت
 مصر تعنى للفنان الراحل ، عندما يقول :

ادى هى مصر التى كانت لؤلؤة جواه

مصر الحضارة والجسارة والامل

مصر الشجاع التى فى وسط الضلعة طل

مصر الحكاية المستحيلة .. المعجزة

الدرة دايما فوق جبين الوطن ..

اما العرض نفسه ، فقد أخرجه عبد



حقيقة أزمة الطاقة

يدور شريط في هذا الميدان ، وتأتى الولايات المتحدة في المقدمة .

واشنطن

فالولايات المتحدة لديها مستودعات هائلة من الوقود المتنوع . وطبقا لتقارير الهيئات الأمريكية المختصة . يوجد لدى الولايات المتحدة حوالى ٥٠٠٠ مليون طن من النفط الذى لم يتم اكتشفه بعد ، هذا بالإضافة الى ما هو معروف من آبار النفط لديها .

وبتعبير آخر ، تحتوى مصابىر النفط الكامنة فى الولايات المتحدة على ما يتراوح بين ٢٠ ألف و ٥٠ ألف طن وربما أكثر . مما يعنى ان الولايات المتحدة لديها من النفط ما يعادل الكمية التى عثرت عليها فى جميع الدول العربية ، أو يعادل ما لدى العربية السعودية على الاقل .

ويوجد لدى الولايات المتحدة ايضا حوالى ٣٠٠ ألف طن من النفط فى باطن صخور الارض ، وهو ما يبلغ خمسة اضعاف مصادر النفط المعروفة لدى العالم الثالث .

واخيرا ، فان احتياطي الولايات المتحدة

اخيرا تقدم الرئيس الأمريكى كارتر برنامجا للتعبيل بتصوير قطاع الطاقة والوقود فى الولايات المتحدة . والسبب الرئيسى لأزمة الطاقة فى دول الغرب ، يكمن فى الولايات المتحدة الأمريكية من انتاج الوقود .

وقد وصف رئيس الولايات المتحدة أزمة الطاقة بأنها أكثر المشكلات الاقتصادية تعقيدا ، بل انه سماها ايضا بالرادف المعنوى للحزب . وقال كارتر : أن الأزمة سوف تواجه كارثة اقتصادية قبل نهاية القرن الحالى ، ما لم يتم حل مشكلة احتياطي البلاد من الوقود فى المستقبل القريب .

وتنهب المصادر الطبيعية خاصة مبيزة للاقتصاد الرأسمالى . ففي سعيها لجنى ارباح ضخمة ، تعمل الشركات الاحتكارية طبقا لبدأ « ومن بعدنا الطوفان » . وهذا يبدو ويتضح تماما فى الموقف من مصادر النفط فى الدول النامية ، إذ تقوم احتكارات النفط فى العالم الرأسمالى

طن ، مما يفوق مصادر النفط لدى العالم من الفحم ، يبلغ حوالي ١٣٥ ألف مليون الثالث بنسبة ٥٠ ٪ .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن الاحتكاريين الأمريكيين يواصلون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نهب مصادر النفط في الدول النامية ، بشراسة وجشع لا مثيل لهما من قبل .

وفيما بين ١٩٥٠ و ١٩٧٦ قامت الشركات الاحتكارية الأمريكية باستخراج أكثر من ٣٠٠٠ مليون طن من النفط من الدول النامية .. مما يزيد تقريبا عشر مرات عن متوسط الاستهلاك السنوي للنفط في الولايات المتحدة أثناء فترة ما بعد الحرب . وكل هذا على الرغم من حقيقة أن أمريكا لديها مصادر نفط هائلة في باطن أرضها .

● ● فلماذا بدأت الشركات الاحتكارية الأمريكية تتطلع على نفط العالم الثالث ، « متجاهلة » مصادر الطاقة الخاصة بها ؟ ؟

● ● ولماذا اندلعت أزمة الطاقة في الولايات المتحدة ، وازدادت حدة ، على الرغم من أنها تملك مخزونا ضخما من الوقود ؟

ان نفط الشعوب الأخرى مثيرا إغراءات كبيرة لدى الرأسمالية الأمريكية ، لأن تكاليف استخراج النفط في الخارج أقل من تكاليفه في أمريكا .

ففي الدول العربية وبعض الدول النامية ● ● تكمن كميات هائلة من النفط في آبار قريبة نسبيا من سطح الأرض ، وتتدفق من تلقاء نفسها هناك . وفي تلك الدول ، تتراوح تكاليفها من دولار إلى أربعة دولارات للطن الواحد ، وفي الولايات المتحدة كانت التكاليف ، في العقود القليلة الماضية أعلى بخمس أو عشر مرات عنها في الآبار الكبيرة . وهذا هو السبب الذي من أجله تفضل شركات النفط الاحتكارية الأمريكية مضاعفة توسعات الاستعمار

الجديد في الدول النامية للحصول على أرباح ضخمة بتقنيات أقل .

وقد حققت شركات النفط الاحتكارية الأمريكية ، أرباحا خرافية تصل إلى عشرة بلايين دولار ، عن طريق استخراج النفط من الدول النامية بدولار واحد أو أربعة دولارات لكل طن ، ويبيع في الولايات المتحدة بعشرين دولار أو ٢٥ دولار للطن الواحد . والمستعمرون الجدد واقفون . تماما أن هذا « النظام » قد تأسس وتدعم منذ زمن طويل حتى أنهم عملوا على زيادة استخراج النفط في الدول الأخرى ووجهوا أرباحهم إلى جميع أنواع فروع أخرى الاستغلال باستثناء مجال التطوير السريع لقطاع النفط في الولايات المتحدة . وقد أصبح ذلك الخطأ في الحساب والتقدير الذي وقعت فيه الشركات الاحتكارية واضحا تماما في أوائل السبعينات ، عندما بدأت الدول النامية تأميم امتيازات استثمار آبار النفط التي كانت تخص الاستعماريون الجدد ، ومن ثم وضعت نهاية للنهب المتعثر ضيقه والتحكم فيه ، لثرواتها المعدنية ، الذي كان من الممكن أن يرقى مخصص نفط العالم الثالث طوال حياة جيل بأكمله . وقد أدت إمكانية الحصول على النفط رخيص إلى إبطاء شديد لعمليات البحث عن وسائل جديدة للكشف عن مصادر النفط التي توجد في الغرب وتطويرها ، وكذلك إبطاء الدراسات العلمية والتقنية المتعلقة بالتوصل إلى وسائل جديدة للانكشاف بالفحم دون الإضرار بالبيئة . وإبطاء الأبحاث من أجل الوصول إلى وسائل تقنية جديدة لاستخراج الوقود السائل من زيت الصخور ، وغيرها .

وقد غيرت الدول النامية الآن من أسعار بترولها بصورة تتناسب مع مصالحتها القومية وارتفعت أسعار البترول نتيجة لذلك حتى وصلت إلى سعر يتراوح ما بين ١٣ - ١٥ دولار ، و ٨٠ - ٩٠ دولار للطن الواحد . وقد ضمن هذا للسود المالكة للبترول الحصول على نصيب أكبر من الأرباح الصافية التي كانت تنهبها احتكارات البترول الأمريكية والغربية . من قبل .



استراتيجية تصعيد التسليح

الجهد العسكري الأمريكى فى شرق وجنوب شرقى اسيا ، وخاصة كوريا الجنوبية .

وقال رئيس المنتجون فى لوس أنجلوس أن برنامج تدعيم قوة الولايات المتحدة فى المحيط الهادى يهدف الى زيادة عدد انواع جديدة من الأسلحة ، مثل الغواصات الذرية التى تحمل صواريخ ترديدت ، وتوفير صواريخ كروز للقاذفات ب - ٥٢ ، وتحديث وتعزيز الاسطول السباع الأمريكى ، بما فى ذلك قوة غطائه الجوى .

وكما يتوقع ، فإن الضجة حول سحب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية إنما تمثل إعادة توزيع للدور بين واشنطن وسول . وسوف تزيد الولايات المتحدة من حجم سلاحها الجوى فى كوريا الجنوبية ، بينما تعزز سول من قواتها البرية . وسوف ترسل الولايات المتحدة ١٢ مقاتلة أخرى ف - ٤ الى كوريا الجنوبية خلال الشهر القادمه ويناقش الكونجرس حالياً « برنامج معونة » يبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار لتعزيز مأكبة الحرب فى كوريا الجنوبية .

فى مجال سياستها الخارجية تضاعف حكومة الولايات المتحدة جهودها من اجل الدعم العسكرى والسياسى لحلف الاطلنطى . وفى نفس الوقت تسعى واشنطن الى تعزيز قدرات الولايات المتحدة العسكرية فى الشرق الاقصى وجنوب شرقى اسيا .

وهذا ما أكده وزير الدفاع الأمريكى هارولد براون فى خطابه أمام مؤتمر مجلس المشاكل العالمية فى لوس أنجلوس : « أننا نمثل وسنظل القوة الرئيسية فى المحيط الهادى » هذا ما قاله رئيس المنتجون . ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك . إذ لا يمكننا أن نكون اقوياء فى اوريا وضعفاء فى اسيا ، إذ أن قوتنا فى اسيا تساهم فى قوتنا فى اوريا ، والعكس بالعكس .

وقال هارولد براون أن استراتيجية الولايات المتحدة الحالية فى المحيط الهادى تشمل العناصر التالية : تدعيم قوة الصواريخ النووية الاستراتيجية ، وزيادة شحنات الأسلحة لكوريا الجنوبية ، ومضاعفة الجهود لمشاركة اليابان فى

تزايد صادرات السلاح

المسكية الفرنسية عام ١٩٧٧ تماما *
وتؤكد « لوماتان » أن بيع الأسلحة قد
أصبح عاملا هاما في السياسة الخارجية
للدول الرأسمالية وخاصة في علاقاتها مع
البلدان النامية *

ويحتل نظام قورستر في جمهورية
جنوب أفريقيا مكانة العميل المفضل لدى
« تجار الموت » * وقد منحت الحكومة
الفرنسية جمهورية جنوب أفريقيا تصريحا
بصناعة الطائرات ، والصواريخ ،
والطائرات العمودية *

وصفت « لوماتان » صحيفة الاشتراكيين
الفرنسيين ، الدول الرأسمالية الموردة
للسلاح ، وبخاصة الولايات المتحدة ،
وفرنسا ، وبريطانيا وألمانيا الغربية ، بأنها
« تجار الموت » * وقد باعت الولايات
المتحدة في العام الماضي أسلحة بمبلغ
قريب بلغت ١١,٠٠٠ مليون دولار *
ووصلت فرنسا كذلك إلى مستوى قياسي في
مبيعات الأسلحة * وإذا كان هذا أليكد قد
جاء عام ١٩٧٦ بما قيمته ١٨,٠٠٠ مليون
فترك من الأسلحة ، فقد زادت مبيعات
المعدات العسكرية للطيران وحدها عام
١٩٧٧ عن هذا الرقم * وأكدت الصحيفة
« لقد استنفذت الطليعات طاقة الصناعة



المصالح النفطية للولايات المتحدة

ونوايا واشنطن هذه ، انما تؤكد
الطابع الامبريالي لسياسة الولايات المتحدة
تجاه البلدان المنتجة للنفط ، وتتفق مع
تصريحات سابقة أصدرها مسئولون
الامريكيون * والولايات المتحدة ان تخطي
على مصالحها النفطية في الشرق الاوسط
تحاول تعزيز مواقعها في الخليج العربي *
وفي اواخر العام الماضي ، قال جيمس
شلمزينجر وزير الطاقة الامريكي ان الولايات
المتحدة سوف تتخذ في حالات الضرورة
التدابير اللازمة لضمان أمن حقيقي لموارد
النفط عن طريق العمل العسكري الحازم *

نشرت صحيفة « واشنطن بوست » أن
القوات المسلحة الامريكية سوف تنتشر
تشكيلا خاصا متحركا يضم فرقتين من
القوات البرية وفرقة من القوات البحرية
مجهزة بطائرات خاصة * وسوف يتم نقل
هذا التشكيل جوا إلى منطقة الخليج
العربي « لحماية » موارد النفط اذا ما نشأ
« وضع طارئ » هناك * وتم انشاء هذا
التشكيل بناء على توجيه من هارولد براون
وزير الدفاع الامريكي ، الذي بدأ أخيرا
برنامجا واسعا من أجل اقامة وحدات
انزال للأغراض الخاصة *

شريط الأنباء .. شريط الأنباء

مخططات الإمبريالية الخطرة • وهي ترفض بحزم أدعاءاتها بالنسبة لثرواتها الوطنية • وعلقت صحيفة الجمهورية العراقية قائلة : « ان الولايات المتحدة لم تتخل عن مخططاتها العدوانية • وبالإضافة الى ذلك فان مخططاتها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأهداف الإمبريالية العالمية كما انها موجهة ضد الأمة العربية »

وأدى توجيهه براون الأخير الى احتجاجات واسعة النطاق من قبل الدوائر الرسمية ودوائر الرأي العام في البلدان العربية • وقالت صحيفة الرأي العام الكويتية : « ان الولايات المتحدة تستخدم البلدان العربية المنتجة للنفط للحصول على النفط والبترو دولارات وليس لديها أية نية للتخلي عن سياسة القوة التي تتبعها • والشعوب العربية تشعر بالقلق ازاء

• • •

اتفاقية روديسيا

الاجهزة الصالية ، اليوليس والقوات المسلحة والسجون القائمة •

وهكذا تدعم الاتفاقية سانزيبوري أسس نظام سميث العنصري ، أي الامتيازات الاقتصادية للاقلية البيضاء ، وجوهـر ميكائيزم الاضطهاد العنصري •

تم التوصل الى ما يسمى بالاتفاقية تسوية داخلية في سانزيبوري بين نظام ايان سميث العنصري وبين ثلاث زعماء وطنيين مثقفين هم موزوروا ، وسيلول ، وشيراو • وهدف الاتفاقية هو « أفرة » واجبة النظام العنصري لدرجة ما ، مع ترك جوهره كما هو •

والدوائر الحاكمة في بريطانيا وأمريكا التي تحاول فرض مخططاتها للتسوية على شعب زيمبابوي وتحويل روديسيا الى دولة عميلة ، يثرون الانتقادات الرافضة ضد اتفاقية سانزيبوري • وكحقيقة فان هذه الدوائر هي التي تؤخر حل المسألة الخاصة بنقل السلطة في روديسيا الى الأغلبية

الأفريقية وتسهل بذلك صنع تسوية على مزاج سميث • وما تخفيها بريطانيا والولايات المتحدة هو اندلاع الحرب الأهلية في روديسيا ، لأن الجبهة الوطنية ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب

وتلص الاتفاقية على انتخاب برلمان يضم ١٠٠ نائبا مع حجز ٢٨ مقعدا للبيض وضمان حقهم في الاعتراض على أي قانون أو أي تغيير في نص الدستور دون موافقتهم وعلى الا تمس امتيازات البيض الاقتصادية والسياسية التي يرض عليها الدستور لمدة عشر سنوات • وتلص الاتفاقية على أن ٢٠ من النواب البيض ينتخبهم البيض وحدهم بينما ينتخب كلا من البيض والـسوداللمانية نواب البـالين من البيض • وتلص من « الاتفاقية الداخلية » قائمة من الحقوق والحماية ضد التمييز والاستيلاء على الملكية والأرض • وستظل حماية الدول في أيدي

شريط الأنباء .. شريط الأنباء

وزامبيا ويوتسوانا وأنجولا ، الموقف الحازم للجبهة الوطنية . وفي مقدور شعب زيمبابوي أن يستند على الدوام إلى المساعدة الشاملة لمنظمة الوحدة الأفريقية ولكل القوى التقدمية في العالم .

زيمبابوي ، قد أعلنت عن رفض أية اتفاقية لا تتفق مع مصالح الشعب ، وتواصل النضال المسلح ضد النظام العنصري . وصرح زعماء الجبهة أن الكفاح المسلح سيستمر حتى يطاح بنظام سميث . وتؤيد دول المواجهة ، موزمبيق وتانزانيا

سوايو ومشكلة ناميبيا

دليلا على « العناد والنزوع للحرب » من جانب ممثلي ناميبيا الحقيقيين « وعدم رغبتهم » في حل المشكلة سلميا . وأنها لمحاولة فاشلة . فالعالم أجمع يعرف أن سياسة جنوب أفريقيا هي التي تخلق العقبات في وجه تسوية ناميبية حقة . فجنوب أفريقيا بتعزيزها لمقدراتها العسكرية في ناميبيا المحتلة ترمي إلى الاحتفاظ بقواتها هناك حتى بعد إعلان الاستقلال . وقد أوضحت محادثات نيويورك من جديد أن عنصري جنوب أفريقيا لا يريدون أن يدرسوا المطالبات العادلة للآفريقيين بانتهاء احتلال ناميبيا ومنحها الاستقلال .

وقد صرح س . نوجومو رئيس منظمة سوايو أن أصحاب قوات بريتوريا يعتبرون شروطا ضروريا لضمان استقلال ناميبيا . ويلقى هذا الموقف مساندة واسعة من قبل الرأي العام التقدمي في جميع أنحاء العالم . لقد أكدت محادثات نيويورك أن مشكلة ناميبيا لا يمكن حلها بدون سوايو .

المحادثات التي جرت في نيويورك حول مستقبل ناميبيا بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وكندا انتهت دون نتيجة . وتطوع المشاركون فيها للتوسط بين جنوب أفريقيا وبين المنظمة الشعبية لجنوب غربي أفريقيا (سوايو) .

وناميبيا التي تحتلها جنوب أفريقيا دون وجه حق ، ينبغي أن تحصل على استقلالها . ولا يشك أحد في ذلك في هذه الأيام . ورغم ذلك فإن جنوب أفريقيا ، استنادا إلى القوات المسلحة ، تحاول فرض شكل استعماري جديد « لاستقلال » ناميبيا . ولابد أن تؤدي المباحثات مع رؤساء القبائل الخاضعين لجنوب أفريقيا إلى قيام حكومة عميلة في ناميبيا . ومع ذلك فقد رفض شعب ناميبيا ومنظمة سوايو هذا المخطط بحزم .

ورغم ذلك ، في نيويورك أراد عنصري جنوب أفريقيا إجبار سوايو على قبول انتخابات تحت سيطرة جيش أجنبي ، وإذا ما رفضت سوايو ، اتخذ هذا الرفض

إعادة تنظيم المخابرات الأمريكية

اجراء يهدف الى اصلاح واجهة أجهزة المخابرات لحد ما ، والتي ساءت سمعتها نتيجة للفضائح التي جرت خلال الاعوام الأخيرة . وبهذا المعنى فإن الإصلاح هو مجرد عملية تجميل ، لأنه بغض النظر عن تغيير اللافتة ، تظل أهداف أجهزة المخابرات الاميرالية كما هي . وتقول الصحافة الامريكية ان نطاق العمليات التخريبية السرية للمخابرات المركزية في البلدان الأخرى ، أو ما يسمى بالألعاب القذرة ، وسوف يستمر السماح للمخابرات الامريكية بإضاعة عديم الاستقرار في الانظمة غير المرغوب فيها في البلدان الاجنبية ، واستخدام الصحفيين والمدرسين والعلماء وغيرهم من قطاعات السكان في الولايات المتحدة في عمليات سرية . وقد صرح الاميرال تيرن مدير المخابرات المركزية في حديث له مع مجلة تايم قائلاً ان وكالته تعمل في جمع المعلومات السرية الاقتصادية والسياسية في أكثر من ١٥٠ بلداً . وسوف تواصل المخابرات المركزية كافة أعمالها القذرة السبابة . فلن يخش أصحاب « العبادة والخنجر » شيئاً مهما شكلوا لهم من لجان .

الدعاية الرسمية الامريكية تتحدث في الفترة الأخيرة عن « إعادة التنظيم الشاملة لأجهزة الأمن في البلاد » . وقد أعلن البيت الأبيض اقامة لجنة تنسيق خاصة لمجلس الأمن القومي سوف تحدد الخطوط المرشدة لجمع معلومات المخابرات وتنفيذ العمليات السرية ، التي تتخذ ، كقاعدة عامة ، طابعاً تخريبياً . وستضم اللجنة التي يرأسها مساعد الرئيس لشئون الأمن القومي ، وزير الدفاع ووزير الخارجية ، ورئيس هيئة أركان الحرس المشتركة ، ومدير وكالة المخابرات المركزية ، والنائب العام ، ومدير مكتب الإدارة والميزانية .

ويبدو من ناحية ، ان إعادة التنظيم الحالية تهدف الى تدعيم رقابة القطاع العلوى في سلطة الدولة في الولايات المتحدة على تنظيمات المخابرات التي نمت بدرجة كبيرة خلال العقد الأخير . ووفقاً للمصاحفة الامريكية ، فإنها تنفق أكثر من ١٠٠٠٠ مليون دولار في العام وقد تحولت الى حكومة مرية .

ومن ناحية أخرى فإن إعادة التنظيم

أمريكا والسوق المشتركة

تأسست السوق عام ١٩٥٧ ، ويعد ذلك مياشرة ، تميز التجارة بين الولايات

وفجأة ظهرت الخلافات التجارية بين السوق المشتركة والولايات المتحدة . فعندما

المستقبل القريب وأن أية تنازلات من جانب الولايات المتحدة مستبعدة .
وفي الوقت الحاضر يبلغ العجز التجاري للسوق المشتركة مع الولايات المتحدة ١٠ر٠٠٠ مليون دولار ، والأمل محدود في التغلب على هذا العجز في القريب .

وفي ١٥ يناير الماضي بدأت في جنيف المباحثات بين ٩٣ دولة مشتركة في الاتفاقية العامة حول التعريفات والتجارة . وسوف تنتهي هذا الصيف سلسلة من الاجتماعات إلى اتفاقية عامة تنظم التجارة الدولية . وتهدف الاتفاقية إلى إلغاء حد الإعفاء من الرسوم . ومن المتوقع أن تكون المحادثات معقدة ويتعذر التوصل إلى اتفاق خلال الشهرين الستة القادمة .
وفي نفس الوقت تتخذ السوق المشتركة تدابير لحماية نفسها . فقد أعلنت اللجنة الأوروبية أخيراً عن قرارها بالحد من استيراد بعض أنواع الصلب من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمانيشا الديموقراطية واليابان وكندا وغيرها من البلدان . ويوضح هذا القرار أن السوق المشتركة تريد أن تقوى مركزها في حريها التجارية مع الولايات المتحدة من خلال القيود التجارية على البلدان الأخرى ، وبخاصة البلدان الاشتراكية . لكن تجربة العلاقات الاقتصادية الدولية قد أوضحت أكثر من مرة أن الإجراءات من جانب واحد تعقد المشاكل بدلاً من حلها . فالعلاقات التجارية الدولية تتطلب نظرة دولية .

المتحدة ودول السوق الست حينذاك بنحو مطرد . كانت أوروبا تقف على قدميها ، وكانت لها مصلحة في السلع الرخيصة المصنوعة في أمريكا . ولذلك رفعت الحواجز الجمركية لجذب الولايات المتحدة إلى السوق الأوروبية .

لكن عندما زادت بلدان غرب أوروبا من إنتاجها وخفضت من تكاليف الإنتاج فلانما مركزها قوة في السوق العالمي ، وفي عام ١٩٧٢ قبرت صادرات البلدان الست الأعضاء في السوق إلى الولايات المتحدة بحوالي ٨ر٣٢١ مليون وحدة حسابية بينما وردت الولايات المتحدة لأوروبا ٨ر٨٥٠ مليون وحدة حسابية . وبهذه الطريقة كان هناك توازن تقريبي في التجارة بين الولايات المتحدة وشركائها الأوروبيين .

وفي محاولة لحماية اقتصادها من هجوم السلع الأجنبية ، بدأت الولايات المتحدة في زيادة حواجز الحماية ، بتطبيق نظام خاص للتصاريح ، ورفع الرسوم الجمركية فيما يخص السلع المعيبة .

وقام أوليف جوندلان الدنمركي ، وعضو لجنة السوق المشتركة ، بزيارة الولايات المتحدة وتصادت مع المسؤولين الأمريكيين ومع الدوائر التجارية والصناعية بهدف التحضير لإلغاء إجراءات الحماية ضد السلع الأوروبية . وخُرج بانطباع بأن الصادرات الأمريكية ستكون عدوانية في

دائرة المعارف

• ميزان المدفوعات :

ميزان المدفوعات هو العلاقة بين مجموع المبالغ التي يدفعها بلد معين خلال فترة محددة من الزمن « سنة أو نصف سنة أو ربع سنة أو شهر » إلى الأشخاص المعنويين والطبيين في الخارج ، وبين مجموع المبالغ التي يحصل عليها ذلك البلد من الخارج .

وعندما تزيد المبالغ المدفوعة عن المبالغ الواردة يظهر عجز في ميزان المدفوعات . ولكن كما يستنتج من كلمة « الميزان » فإن جوانب الخصم والإضافة تكون دائما متكافئة . ولذا فعندما يتحدث المرء عن عدم التوازن في ميزان المدفوعات يكون المقصود أن الفرق بين المبالغ المدفوعة والمبالغ الواردة تتم تغطيته عن طريق ما يسمى بعناصر الموازنة كتغيير احتياطات النقد والذهب وغير ذلك .

وإذا واجهت إحدى البلاد عجزا في ميزان المدفوعات فإن احتياطاتها من الذهب والعملات تتناقص بينما تزداد المطلوبات منها . والعكس صحيح .

وتنقسم العناصر التي يتألف منها ميزان المدفوعات إلى قسمين : قسم أساسي ، وقسم للموازنة . والعناصر الأساسية التي تسجل كل مدفوعات البلد وإيراداته هي :

● الميزان التجارى ، أى المصادرات والواردات .

● تأجير السفن ودفع مقابل خدمات النقل .

● ما يدفع مقابل استخدام وسائل الاتصال .

● السياحة .

● المصروفات والإيرادات الحكومية ، بما فى ذلك الإنفاق العسكرى فى الخارج والدخل الناتج عن بيع الأسلحة .

● الخدمات التى تقدمها شركات التأمين والبنوك ، باستثناء خدماتها التجارية المعتادة ، والتوكيلات التجارية ... الخ .

● فوائد رؤوس الأموال المستثمرة فى الخارج ، وإيرادات الإختراع ، وحقوق استخدام الأسماء التجارية .

وجميع هذه العناصر تشكل جانباً من ميزان المدفوعات الجارى .

ويأتى بعد ذلك ميزان المبالغ المدفوعة من جانب واحد ، وتشمل المبالغ التى تدفعها الحكومات والأفراد . وتشمل المدفوعات الحكومية أنواعاً مختلفة من المعاشات والتأمينات والمنح ومخصصات الدعم . أما المدفوعات الفردية فتتألف أساساً من المبالغ التى يكسبها العاملون فى الخارج .

ويتعلق القسم الرئيسى الذى يلى ذلك فى ميزان المدفوعات بالعناصر المصلة بحركة رأس المال والقروض . وتشمل هذه العناصر جميع تحركات رؤوس الأموال سواء كانت خاصة أم عامة ، وتمثل استثماراً مباشراً أو غير مباشر ، والقروض والتسهيلات المصرفية ... غير أنها لا تشمل المبالغ المدفوعة كفوائد أو أرباح والتى تسجل بوصفها عمليات جارية لميزان المدفوعات .

ويعد ميزان المدفوعات من أهم المؤشرات

للحالة الاقتصادية والعلاقات الاقتصادية الخارجية لكل بلد . ويدل عجز ميزان المدفوعات على أن النشاط الاقتصادى يتحرك فى اتجاه معاكس لمصالح البلد المعنى . وهو ينشأ عادة فى انخفاض إنتاج السلع المعدة للتصدير وزيادة استهلاك السلع المستوردة . ويصاحب ذلك عادة تدفق رأس المال الوطنى والإجنى الى الخارج اذ لا يكون فى الامكان استخدامه بطريقة مربحة فى البلد المعنى . فإذا كانت المبالغ المدفوعة تزيد على المبالغ الواردة ، يزداد الطلب على العملات الأجنبية ويقل الطلب على العملة المحلية ، مما يؤدى الى انخفاض سعر الصرف للعملة المحلية ، ويؤدى فى بعض الأحيان الى تدفق تلك العملة الى الخارج على نطاق واسع . وقد حدثت حالة كهذه بالنسبة للجنيه الاسترلى فى عام ١٩٦٧ وبالنسبة للفرنك الفرنسى عام ١٩٦٨ ، وبالنسبة للدولار الأمريكى عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٣ .

ولمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات ، تلجأ الحكومة البرجوازية الى مجموعة كبيرة من الإجراءات الاقتصادية . فهى تستطيع مثلاً عن طريق سياستها المالية والاقتصادية أن تقلل من سرعة التمدد الاقتصادية وبذلك تنقص الطلب الداخلى . وتلقى مثل هذه الإجراءات عبئاً ثقيلاً على عاتق الجماهير العاملة .

وفى المحاولات التى تهدل لتضييق النفقة فى مدفوعات التجارة الخارجية تلجأ الدول الرأسمالية الى اقامة مختلف أشكال حواجز الحماية « الرسوم الإضافية » والضرائب على الاستيراد ، والتحصيد الكمي للواردات ، الخ » والعمل فى الوقت ذاته لتشجيع زيادة إنتاج السلع التصديرية ، وذلك عن طريق منح إعفاءات جمركية للمصدرين ، ودعم الصادرات ، وغير ذلك . ويؤدى ذلك بطبيعة الحال الى تناقص المصالح والى نشوب « الحروب التجارية » و « حروب النقد » بين الدول .

وأخيراً يمكن للبلد المعنى أن يخفض قيمة عملته ، أى يخفض سعر صرفها بالنسبة للعملات الأخرى . وتكون نتيجة ذلك انخفاض ثمن صادراته فى الأسواق

الخارجية وارتفاع الثمان السلع المستوردة
فى السوق المحليه . غير أن تخفيض سعر
العملة لا يظهر نتائج على الفور ولا يكون
اجراء فعالا على الدوام .

وليس معنى هذا أن ميزان المدفوعات
الإيجابي يدل بشكل قاطع على ازدهار
الاقتصاد . إذ أن ميزان المدفوعات إذا بقى
إيجابيا لفترة طويلة يمكن أن تكون له آثار
ضارة على اقتصاد البلد وعلى علاقاته
الاقتصادية الخارجية .

إذ أن ميزان المدفوعات الإيجابي وتمو
احتياطيات المذهب والعملة يؤديان إلى
ظهور اتجاه مستمر لارتفاع سعر صرف
العملة الوطنية . وقد يبدو أنوقف طيبا
فى الظاهر ، لكن ارتفاع سعر الصرف للعملة
الوطنية يؤدي إلى زيادة ملموسة فى أسعار
صادرات ذلك البلد . كما أن أسعار
السلع المستوردة تنخفض بشكل محسوس
•• وحتى إذا لم يضطرب الميزان التجارى
نتيجة لهذه العلاقة السريعة ، فلا شك
أن هذا الوضع سيضر بالقطاعات الاقتصادية
التي تنتج سلعاً للتصدير . ويمكن أن يؤدي
إلى اغراق الأسواق بالسلع المستوردة
الرخيصة وارتفاع أسعار الصادرات
ومن ثم خفض الإنتاج وانتشار البطالة .

كما يتأثر اقتصاد البلد تأثيرا ، باستيراد
التضخم ، وهو ما يمكن تلخيصه فيما يلى :

أن تدفق رؤوس الاموال الاجنبية على بنوك
البلد ذى ميزان المدفوعات الإيجابى
وصاحب العملة المستقرة ، يلزم البنوك
المرتكزة بشراء العملة الاجنبية التى أنخفض
سعرها إما لديها من احتياطيات الذهب
والعملات وتصير فى مقابلتها عملة محلية .
ويكون من أثر ذلك أن تنزل إلى التداول
كميات كبيرة من أوراق النقد تزيد على
حجم السلع المتاحة فى وقت معينه ، ومن
هنا تنخفض قيمة أوراق النقد . والعملية
فى الواقع أكثر تعقيدا مما تصورهما هنا
بطبيعة الحال . غير أن كمية النقود تزيد
على كل حال ويغض النظر عن رغبة
الدولة فى ذلك أم عدم رغبتها فيه ، ويغض
النظر عن سياستها الاقتصادية الداخلية .

وباختصار ، فإن عدم توازن المدفوعات
يحدث أثرا سينا على الاقتصاد وعلى
العلاقات الاقتصادية الخارجية ، سواء
كان عدم التوازن راجعا إلى الزيادة أو
العجز . ويؤدي ذلك إلى تفاقم التناقضات
القائمة بين الدول الإمبريالية . وتتوقف
جميع المشاكل الأخرى الناتجة عن العلاقات
المالية والنقدية الدولية إلى حد بعيد على
ميزان المدفوعات . ولذا فإن مسألة
ميزان المدفوعات - شأنها شأن مسألة
سعر الصرف - تبقى موضوعا دائما فى
جدول أعمال جميع المؤتمرات السياسية
والاقتصادية الرئيسية التى عقدها قادة
الدول الرأسمالية المتقدمة .



SOCIALIST STUDIES

April 1978

MAIN SUBJECTS

- World changes and the developing countries.

- Anti-communism in the late seventies.

- International significance of the new constitution of the USSR.

● ازيكياس بايانو :

السكرتير العام ، للحزب التقدمي للشعب العامل في قبرص *

- Capitalism after the 1974 - 75 crisis.

● يوريس بونومايوف :

- A Special parton : The southern pivot of the struggle

العضو الاحتياطي للمكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي *

● بيتر كويلمان :

السكرتير العام للحزب الشيوعي في سرى لانكا *

● أوليفر تامبو :

رئيس المؤتمر الوطني الافريقي في جنوب افريقيا *

● ماكس شميدث :

مدير معهد الاقتصاد والسياسة الدولية ، ألمانيا الديمقراطية *

● سام نوجوما :

رئيس منظمة شعب جنوب غربى افريقيا (سوايو) *

● جوشوا نكومو :

رئيس اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى



دراسات اشرالية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
 بالتعاون مع مجلة
السام والاشتركية

رئيسة مجلس الإدارة :
أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :
صبرى أبوالمجد

رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية
١٠٠ ملجم - عن الكميات المرسلة
بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا .
في الأردن والعراق ١٢٠ فلسا .
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٠ عدداً
في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد
البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ
في سائر انحاء العالم ، ٥ ونصف دولار
أو ٢ ج ك و القيمة تسدد مقدما للقسم
الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية
مصر العربية والصودان بحواله بريديه .
في الخارج يتحويل أو شيك مصرفي
قابل للصرف في جمهورية مصر العربية
والاسعار الموضحة اعلاه بالبنريد
العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى
والسجل على الاسعار المحددة عند
الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد
عز العرب : القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ و عشرة خطوط ،



الفنان: هبة عنايت

● بنات الواحة .